
هيئة كتابة التأريخ
نوابغ
الفكر العربي
الامام علي بن ابي طالب
رجل المُثل والمبادىء
د. هاشم يحيى الملاح



وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٩



هيئة كتابة التأريخ

سلسلة نوابغ الفكر العربي

الامام علي بن ابي طالب

رجل المُثل والمبادىء

د . هاشم يحيى الملاح

الطبعة الاولى ـ لسنة ١٩٨٨

المقدمة

ليس من اليسير ان يتصدى مؤرخ لدراسة شخصية عظيمة مثل شخصية الامام علي بن ابي طالب (رض) بأسلوب علمي أكاديمي ، لأن الامام علياً (رض) ليس مجرد شخصية تاريخية ادت دوراً متميزاً في حقبة من حقب التاريخ ، ثم جاوزها الزمن ولم يبق منها سوى ذكريات باردة لاتحرك العاطفة ولا تثير المشاعر .

ان شخصية الامام علي (رض) قد بقيت حية في نفوس ابناء الامة منذ ظهورها على مسرح التاريخ وحتى الوقت الحاضر ، بمواقفها الكبيرة . . ومثلها العظيمة ، حتى غدت رمزاً من الرموز الدينية والقومية لأبناء الامة جمعاء .

وقد جرى الناس منذ القديم ، على استلهام الدروس والعبر من قراءة سيرة الخلفاء الراشدين وقادة الامة البارزين من اجل استنهاض الهمم ، واستثارة العزائم على طريق تحقيق الانبعاث والنهوض الحضاري . وهذا يتطلب ان يتجه الباحثون نحو دراسة حياة هؤلاء الخلفاء والقادة ، على ضوء احتياجات الامة وتطلعاتها في كل مرحلة من مراحل حياتها المتغيرة ، ووفق احدث مناهج البحث العلمي .

ان دراسة حياة العظماء بالصورة التي تستجيب لهموم العصر وتلبي احتياجات ابناء الامة ، ليس فيها خروج على المنهج العلمي في دراسة التاريخ ، لان علم التاريخ كما هو معروف لدى المختصين ، لايشبه العلوم البحتة التي تتعامل مع عالم الاشياء ، بطريقة موضوعية هادئة . ان علم التاريخ يقوم على دراسة ماضي الانسان بجوانبه المختلفة ، وليس بأمكان المؤرخ مهما إدعى لنفسه من موضوعية وتجرد

ان يعزل فكره وعاطفته عن موضوع دراسته بصورة مطلقة . لذا يلاحظ تداخل الموضوعي والذاتي في دراسة التاريخ ، وتعدد سبل التفسير والفهم لوقائعه وتطوراته .

ان ما تقدم ، لاينفي وجوب عمل المؤرخ على قول الحقيقة ، والسعي اليها بأقصى مايستطيع وبقدر ما تسمح به الوثائق والمصادر المعتمدة في مجال دراسته .

وقد حاول المؤلف عند دراسته لحياة الامام علي (رض) مراعاة ماتقدم من حيث الالتزام بالدقة والموضوعية ، مع الحرص على ابراز جوانب الفروسية والبطولة في شخصيته والمبدئية العالية في فكره وسلوكه ، وهي أمور ميزت شخصية الامام علي (رض) وتعد في نظر المؤلف المدخل لدراسة حياته . ولعل التأكيد على هذه الجوانب في دراسة شخصية الامام مما تمس اليه الحاجة ، وتتطلع اليه النفوس والعقول من أجل استلهامها والاستفادة منها في المعارك المصيرية التي تخوضها الامة على طريق التوحد والانبعاث .

وقد تجنب الباحث دراسة ومناقشة مسائل الخلاف السياسي التي برزت بعد وفاة الرسول (ص) واستمرت حتى استشهاد الامام علي (رض) لان معظم اطراف هذا الخلاف كانوا يتصرفون بحسن نية ويجتهدون في تقديم الحلول للتحديات والمشاكل التي واجهت المجتمع والدولة في مرحلة التحولات الكبرى التي نشأت عن انتشار الاسلام وتوسع الدولة العربية الاسلامية وما رافق ذلك من تحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية .

وقد تصدى العديد من المؤرخين والباحثين لدراسة هذه المسائل وأشبعوها بحثاً من مختلف الجوانب مما يلقي عن كاهل الباحث مسؤولية

دراستها ومناقشتها ويفسح امامه المجال لتركيز جهده على دراسة جوانب البطولة والمبـدئية في شخصيـة الامام عي (رض) لتكـون لنا منـاراً نستلهم منها الدروس والعبر في بناء حاضر يقوم على التزام ابناء الامة بمبادىء الفروسية والمثل العليا في السلوك والعمل .

المؤلف

١٩٨٨/١١/٢٠



الفصل الاول

نشأة الامام علي وتكوينه

يشير علماء التربية الى ان اهم عاملين يؤثران في تكوين وتشكيل شخصية الانسان هما عاملا الوراثة والبيئة ، إذ يأخذ الانسان عن أسلافه الكثير من الصفات والقدرات التي هي بمثابة المادة الاساسية « الخام » التي ستتفتق عنها قدراته ومواهبه في المستقبل كما تعمل البيئة التي يعيش في اطارها الإنسان على تشكيل قدراته الأساسية وصياغتها بما يتناسب واستعداداته ومدى ملاءمة الظروف لها . فإذا ورث الشخص عن ابويه صفات عالية ، وقدمت له البيئة التي يعيش في كنفها الوسائل المواتية لنمو قدراته والكشف عن مواهبه الكامنة ، كان من المتوقع ان يكون لذلك الشخص شأن كبير في أحد ميادين الحياة .

على ضوء هذا المفهوم ، سنحاول دراسة نشأة وتطور شخصية الامام علي بن ابي طالب (رض) ، فنبدأ بالحديث عن ولادته ، ونسبه ، وظروف البيئة العائلية والعامة التي تكونت فيها شخصيته . وسيقودنا كل ذلك الى دراسة تأثير نشأته في بيت الرسول (ﷺ) ، وحمله رسالة الاسلام منذ نعومة اظفاره ، وعلى تفتح شخصيته وفتح الافاق أمامها لتؤدي دورها على مسرح الأحداث التاريخية الخطيرة .

١ ـ ولادته ونسبه :

ولد الامام علي (رض) في مكة ، لأبوين قرشيين ، من بني هاشم . فابوه أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وهو عم النبي (ﷺ) وكافله بعد جده عبدالمطلب . أما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، وكانت أول هاشمية ولدت هاشمياً .

وكان الامام علي (رض) أصغر إخوته سناً . فكان اصغر من جعفر بعشر سنين ، وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وكان عقيل أصغر من طالب بعشر سنين ايضاً[1] .

وعلى الرغم من ان هذا التقدير للفرق بين أعمار الاخوة الأربعة « عشر سنوات » بين كل واحد والآخر يثير الشك في مدى دقته إلا انه يدل على ان الفارق بين أعمارهم كان كبيراً نسبياً .

ومن الملاحظ ان الرواة لم يتفقوا على تحديد سنة ولادة الامام علي (رض) ، كما اختلفوا تبعاً لذلك في تقدير عمره سنة اسلامه ، فقد ذكر انه قد أسلم وعمره « ثمان سنين وقال ابن اسحاق اسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين ، وقيل ابن ثلاث عشرة ، وقيل اربع عشرة وقيل خمس عشرة أو ست عشرة »[2] . وان مما يؤسف له ان هؤلاء الرواة لم يقدموا لنا أدله او قرائن تؤيد تقديراتهم لعمر الأمام علي حين دخل الاسلام . لذا لا مفر أمام الباحث من محاولة الاستعانة بالقرائن العامة لترجيح احدى الروايات ومن ثم تحديد السنة التي ولد فيها الامام علي (رض) :-

أ - يتفق الرواة على ان الامام علياً (رض) قد دخل في الاسلام بعد نزول الوحي على الرسول (ﷺ) ، فقد ذكر ان النبي (ﷺ) بعث « يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء »[3] . ولكن الرواة يعودون فيختلفون في تحديد السنة التي نزل فيها الوحي ، غير أنه من المرجح ان ذلك كان في حدود سنة ٦١٠م أو قبل هجرة الرسول (ﷺ) الى المدينة باثنتي عشرة سنة وبضعة أشهر .

ب - لقد كان الرسول (ﷺ) يعيش في بيت ابي طالب منذ

صغره ويتمتع برعاية عمه أبي طالب وزوجته ، وينعم بصحبة ابناء عمه حتى بلغ مبلغ الرجال وتزوج من خديجة ، وكان عمره آنذاك خمساً وعشرين سنة . وعند ذلك استقل بحياته الخاصة وأصبح له منزلٌ يعيش فيه هو وزوجته . ولما كان من المعروف ان الوحي قد نزل على الرسول (ﷺ) وعمره اربعون عاماً فإن نزول الوحي يكون قد حصل بعد زواج الرسول بخمس عشرة سنة .

جـ ـ ذكر ابن اسحاق « ان قريشاً أصابتهم ازمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ، فقال رسول الله (ﷺ) لعمه العباس ، وكان من أيسر بني هاشم ، ياعباس : إن أخاك ابا طالب كثير العيال ، وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً ، فنكلهما عنه ، فقال العباس : نعم ، فانطلق حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ، فقال لهما ابو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فأصنعا ماشئتما . . ، فأخذ رسول الله (ﷺ) علياً فضمه اليه ، وأخذ العباس جعفراً فضمه اليه فلم يزل علي مع رسول الله (ﷺ) حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً »[٤] .

ان هذا النص يدل على ان الرسول (ﷺ) قد طلب ضم الامام علي (رض) اليه بعد زواجه وتحسن اوضاعه المعاشية . كما ان سياق النص يوحي بأن علياً (رض) كان قد جاوز سن الطفولة المبكرة ، إذ لايعقل أن يأخذه الرسول (ﷺ) من ابويه وهو بعد رضيع . لذا فإن للباحث ان يرفض الروايات التي تقول ان الامام علي (رض) قد دخل الاسلام وعمره خمس عشرة سنة او ست عشرة سنة لان ذلك يقتضي ان يكون قد انتقل الى بيت رسول الله (ﷺ) قبل زواجه وقبل ان

يكون له بيت خاص به[٥] كما ان للباحث ان يستبعد الروايات التي تقول ان علياً (رض) قد دخل الاسلام وعمره ثمان سنوات أو اقل من ذلك ، لان قبول هذه الروايات يعني ان علياً لم يعش في بيت النبوة قبل نزول الوحي الا فترة قصيرة جداً .

نخلص من كل ماتقدم الى ترجيح رواية ابن اسحاق - وهو من أقدم كُتّاب السير - التي تذهب الى ان عمر الامام علي حين أسلم كان عشر سنوات ، وربما اكثر من ذلك قليلاً . وبذلك تكون سنة ولادة الامام علي (رض) هي بحدود سنة ٦٠٠م وان الرسول (ﷺ) قد ضمه الى عائلته وعمره لايقل عن ثلاث سنوات اي قبل البعثة بحدود سبع سنوات .

٢ - اسمه وكنيته :-

عند ولادة الامام علي (رض) وكان ابوه غائباً - أسمته امه بإسم « حيدرة » وهو أحد اسماء الاسد تيمناً بإسم والدها « أسد بن هاشم » ولكن اباه حين عاد « كره ذلك وسماه علياً » غير ان الامام علي بقي معتزاً بتسميته الاولى فكان يرتجز في اوقات الحرب فيقول :

« انا الذي سمتني امي حيدره   اضرب بالسيف رقاب الكفره »[٦]

وربما كان الدافع الى هذا الاعتزاز انه كان يشعر بأن شجاعته وقوته وقدرته على التنكيل بخصومه تضاهي قوة الأسد في ساحات الوغىٰ .

وقد احتفظ الامام علي بهذا الاسم طوال حياته ، ثم أخذ يكنىٰ بعد ولادة ابنه الحسن به جرياً على عادة العرب في هذا المجال . كناه الرسول (ﷺ) « ابا تراب » وقد ذكر ان سبب اطلاق الرسول (ﷺ) عليه هذه الكنية ـ والتي كان يعتز بها كثيراً ان الرسول (ﷺ) أتى فاطمة فقال : « أين ابن عمك ، فقالت هو ذا مضطجع في المسجد ، فخرج النبي (ﷺ) فوجد رداءه قد سقط عن ظهره ، فجعل رسول الله (ﷺ) يمسح التراب عن ظهره ويقول إجلس ابا تراب »(٨) .

صفاته :ـ

تجمع المصادر التاريخية على ان الامام علياً (رض) كان قوي البنيان ، وان هذه القوة قد لازمته منذ طفولته وحتى استشهاده وكان قد جاوز الستين من العمر . فقد وصف وهو في تمام رجولته انه كان « ربعة من الرجال ، أدعج العينين عظيمها ، حسن الوجة كأنه قمر ليلة البدر ، عظيم البطن الى السمن ، عريض مابين المنكبين ، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لايبين عضده من ساعده قد ادمج إدماجاً ، شثن الكفين ، عظيم الكراديس ، أغيد كأن عنقه إبريق فضة ، أصلع ليس في رأسه شعر الا من خلفه ، كثير شعر اللحية ، . . . وكان إذا مشى تكفأ ، شديد الساعد واليد واذا مشىٰ الى الحروب هرول ، ثبت الجنان ، قوى ، ما صارع احداً الا صرعه ، شجاع ، منصور عند من لاقاه »(٩) .

ان هذه القوة الجسدية والصفات البدنية العالية ، قد رافقها استعدادات عقلية وروحية عالية ؛ لان الامام علياً (رض) ينحدر من صلب آباء عرفت عنهم الاصالة والشرف والسؤدد مع التمسك بالفضائل العربية كالشجاعة والكرم والصدق والامانة وغيرها . وبذلك يكون الامام علي (رض) قد اجتمعت له الاسباب لاكتساب خلاصة الصفات التي اشتهرت بها الاسرة الهاشمية ـ على حد تعبير العقاد « وهي في جملتها النبل والأيد والشجاعة والمرءة والذكاء ، عدا المأثور في سماتها الجسدية التي تلاقت او تقاربت في عدة من رجالها ـ الاعلام »[١٠] .

فإذا اضيف الى كل ماتقدم ، ان الامام علياً (رض) كان ينتمي الى قبيلة قريش التي كانت تتمتع بمكانه خاصة ومتميزة بين قبائل العرب بحكم سكنها في مكة ورعايتها لبيت الله الحرام وخدمتها للحجاج من مختلف القبائل العربية في موسم الحج ، اضافة الى نشاطها وعلاقاتها التجارية الواسعة جميع أرجاء الجزيرة العربية وما جاورها من دول ، مما اوجد لدى ابنائها ـ ومنهم الامام علي (رض) حساً حضارياً يميزهم عن اهل البداوة ويحفزهم على اكتساب القيم التي تساعد على التمدن كحب النظام ، والميل نحو التنمية والتعمير ، والرغبة في التعلم ، وغيرها من القيم التي انتصرت لها الدعوة الاسلامية بعد ذلك ، وحاولت نشرها بين العرب في إطار رسالتها الروحية السامية ، وكان للامام علي (رض) دوره الكبير في تحقيق اهدافها .

ومن الجدير بالملاحظة انه ليس بالامكان اهمال الظروف المعاشية القاسية التي مر بها والد الامام علي (رض) في تكوين شخصيته وفتح آفاق فكره على واقع الحياة الصعبة والمريرة التي كان يعيش في ظلها

الفقراء والمعوزون في مجتمع مكة التجاري الذي كان يتبارى فيه الأغنياء على جميع الثروات وتكديسها وكأن ذلك يمثل القيمة العليا في الحياة !! . . . وهو امر يخالف القيم العربية الاصيلة التي تعلي من شأن الكرم ومساعدة الفقراء والمحتاجين .

لقد اوجد هذا الواقع الذي اكتوى الامام علي (رض) بناره منذ نعومة اضفاره لديه استعداداً عميقاً للألتزام بموقف يدعو الى العدل الاجتماعي ومعاونة الفقراء والمعوزين في اطار رسالة الاسلام .

٤ ـ معيشته في بيت الرسول (ﷺ) :ـ

اوضحنا فيما تقدم ان الرسول (ﷺ) كان قد اقترح على عمه العباس ان يمد يد المساعدة الى عمه ابي طالب بسبب الظروف المعاشية الصعبة التي كان يمر بها فيأخذ منه بعض اولاده ليعينوه في اعالتهم ، وان ابا طالب قد وافق عى ان يأخذ العباس جعفراً فيضمه الى عائلته ، ويأخذ الرسول (ﷺ) علياً فيضمه الى اسرته .

وان للباحث ان يفترض ان الامام علياً (رض) قد شعر في بداية انتقاله من بيت ابويه ومن بين اخوته ـ وهو لايزال طفلاً صغيراً بنوع من الالم والوحدة ، وتساءل بحزن عن الاسباب التي دعت الى حرمانه من العيش وسط اهله واخوته . غير ان المصادر تجمع على ان الرعاية التي منحها الرسول (ﷺ) لابن عمه الصغير ، والحنان الذي احاطته به زوجته السيدة خديجة ، قد عوضته عن ذلك الحرمان وجعلته يشعر بأنه في بيته وبين اهله ، فلم يكن الرسول (ﷺ) مجرد ابن عمه ، بل انه بمثابة اخيه الكبير ، إذ من المعلوم ان الرسول (ﷺ) كان قد انتقل الى بيت أبي طالب بعد وفاة جده عبدالمطلب وعاش في كنفه وتحت

رعايته . . حتى تزوج وكون له بيتاً خاصاً به .

وان مما يدل على مدى حب الرسول (ﷺ) لعمه ابي طالب وزوجته فاطمة بنت اسد ، وشعوره بعظم رعايتها له في طفولته وشبابه ما روي عن مدى تأثر الرسول (ﷺ) حين توفيت زوجة عمه فاطمة ، وكانت قد اسلمت وهاجرت الى المدينة ، فقد تولى دفنها بنفسه « ونزع قميصه والبسها إياه ، واضطجع في قبرها ، فلما سوي عليها التراب ، سئل عن ذلك ، فقال : البستها لتلبس ثياب الجنة ، واضطجعت في قبرها لاخفف عنها من ضغطة القبر ، إنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً الي بعد أبي طالب . وروي انه (ﷺ) صلى علهيا وبكى وقال جزاك الله من أم خيراً ، فلقد كنت خير أم ، وسماها أماً لانها كانت ربته (ﷺ) [11] .

لقد بذل الرسول (ﷺ) أقصى جهده في تربية ابن عمه الصغير ، ورعايته حتى اكتسب محبته وأصبح مثلاً اعلى له ، يقتدى به في عمله ويشاركه آماله وآلامه ويهيء نفسه لحمل رسالة الهداية تحت قيادته . وقد وصف الامام علي (رض) العلاقة الحميمة التي ربطته بالرسول (ﷺ) بقوله : « وقد علمتم موضعي من رسول الله (ﷺ) وآله ، بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا وليد ، يضمني الى صدره ، ويكنفني الى فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ٍ ولا خطلة في فعل ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امه ، ليرفع لي كل يوم من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير سول الله (ﷺ) وخديجة وأنا ثالثهما ، ارى نور الوحي

والرسالة ، وأشم ريح النبوة »[١٢] .

ان الظروف التي نشأ فيها الامام علي (رض) قد طبعت حياته بطابع الجد والرصانة وابعدته عن حياة أقرانه من الاطفال والصبية . . فقد عاش الى جانب الرسول (ﷺ) وتلقى الحكمة والهداية على يديه نما فكره واتسعت مداركه « فكان طفلاً مبكر النماء ، سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة . . فكانت له مزايا التبكير في النماء كما كانت له اعباؤه ومتاعبه التي تلازم اكثر المبكرين ، ولا سيما المولودين منهم في شيخوخة الآباء »[١٣] .

٥ ـ اسلامه وخدمته للدعوة في المرحلة المكية :ـ

وحين نزل الوحي على الرسول (ﷺ) بدعوة الاسلام في حدود سنة ٦١٠م ، كان من اول الناس ، ايماناً به زوجته خديجة ثم تلاها الامام علي (رض) ، ثم آمن زيد بن حارثة مولى رسول الله (ﷺ)[١٤] وكان ذلك امراً طبيعياً لأن هؤلاء الثلاثة كانوا من اسرة الرسول (ﷺ) ويعيشون معه . ومن ثم فقد شهدوا معه تجاربه الروحية ، وكانوا يتابعونه وهو يتحنث ويتعبد في غار حراء في شهر رمضان من كل عام . ولابد ان ذلك كان يدفعهم الى سؤاله والحوار معه حول مايدور في ذهنه وما يعتلج في قلبه من تطلعات وآمال ، فشاركوه حياته الروحية واتحدوا معه في افكاره ومعتقداته . ولما كان الرسول (ﷺ) لم يسجد لصنم وكان ينزع الى التوحيد حتى قبل نزول الوحي ، وكان يمارس بعض اشكال العبادة من تحنث وتصدق على الفقراء والمساكين وغير ذلك من صنوف البر ووسائل التقرب الى الله تعالى . فإن للباحث ان يفترض ان افراد عائلته المقربين كانوا يشاركونه بعض هذه الاعمال لذا فإن من

التجوز الحديث عن تاريخ اسلامهم وكأنـه يشكل عمليـة انتقال من جاهلية الى اسلام . . ان اسلام خديجة وعلي وزيد بن حارثة قد جاء امتداداً لمعايشتهم لحياة الرسول (ﷺ) الفكرية والروحية قبل نزولهم الوحي . . ثم جاء نزول الوحي عـلى الرسـول (ﷺ) لينقلهم نقلة روحية جديدة تعلن بصورة رسمية ميلاد الدين الجديد .

وربما كان موقف خديجة المشجع للرسول (ﷺ) والمطمئن لـه حول حقيقة نزول الوحي عليه مما يؤكد صحة ماذهبنا اليه ، فقد سألت خديجة الرسول (ﷺ) بعد عودتـه من غار حـراء بقولها : « يا أبا القاسم ، اين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي » فحدثها الرسول (ﷺ) بالذي رأى من الوحي « فقالت : ابشر يا أبن عم واثبت ، فو الذي نفس خديجة بيده اني لأرجو ان تكون نبي هذه الامة » . ثم ذهبت لابن عمها ورقة بن نوفل للتأكد من تفسير ما سمعت فطمأنها ورقة الى صحة فهمها لما شاهـد الرسـول (ﷺ) بقـوله : « قـدوس قـدوس ، والـذي نفس ورقـة بيـده ، لئن كنت صدقتيني ياخديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الامة » فرجعت خديجة الى الرسول (ﷺ) فأخبرته بقـول ورقة بن نوفل من اجل تثبيته وتشجيعه[١٥] .

ان موقف خديجة من الرسالة لم يكن موقف المتلقي والمستقبل لها فقط ، بل موقف المرحب والمشجع لصاحب الرسالة وكأنه كان ينتظر هذه الساعة بتلهف شديد .

روى ابن اسحـاق ان رسول الله (ﷺ) « كـان اذا حضـرت الصلاة خرج الى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن ابي طالب مستخفياً عن ابيـه ابي طالب ، ومن جميـع اعمامـه وسائـر قومـه ، فيصليـان

الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجع . فمكثا ماشاء الله ان يمكثا . ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله (ﷺ) يآبن اخي ماهذا الدين الذي أراك تدين به ؟ » فأوضح له الرسول حقيقة ذلك ودعاه الى اعتناق الاسلام ونصرته ، غير ان ابا طالب اعتذر عن ذلك بقوله : « اي أبن اخي ، اني لا استطيع ان افارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لايخلص اليك بشيء تكرهه مابقيت » .

ثم التفت الى ابنه فسأله : « اي بني ، ماهذا الدين الذين انت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنت بالله ورسول الله ، وصدقته بما جاء وصليت معه واتبعته » ، فأجابه « أما إنه لم يدعك إلا الى خير فالزمه »[١٦] .

وهكذا نلاحظ ان الحماس للدعوة الاسلامية لم يكن مقصوراً على السيدة خديجة وعلي بن ابي طالب (رض) ، بل امتد الى عمه ابي طالب . . . . واذا كان ابو طالب لم يستطع اعلان تخليه عن عبادة الآباء والاجداد فإنه قد شجع ابنه وتعهد لابن اخيه بحمايته والدفاع عنه طوال حياته ، وقد فعل ، وكان لذلك اثره العميق في ضمان حرية الحركة والتبشير بالدعوة بالنسبة للرسول (ﷺ) .

وقد استمر الامام علي (رض) خلال مرحلة الدعو السرية التي دامت ثلاث سنوات يعمل من اجل الدعوة الى جانب الرسول (ﷺ) ، وليس لدينا تفاصيل عن نشاطه في هذه المرحلة ولكن للباحث ان يفترض انه كان قد كرس جهده للتفقه بالدين على يد الرسول (ﷺ) بحكم عيشه معه في بيت واحد ومعاونته في نشر الدعوة بين الناس بصورة سرية .

وعندما آذنت مرحلة سرية الدعوة بنهايتها بحكم اعتناق عدد

مناسب من أهل مكة لمبادىء الاسلام وصعوبة إخفاء أمرها عن الناس أمر الله رسوله بأن يجهر بالدعوة « فأصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »[16] . كما امره ان ينذر عشيرته بقوله : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[17] . عند ذلك طلب الرسول (ﷺ) من ابن عمه علي بن ابي طالب (رض) ان يصنع طعاماً ثم يجمع له بني عبد المطلب كي يكلمهم ، ففعل ، « وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً او ينقصونه : فيهم اعمامه : ابو طالب وحمزه والعباس وابو لهب » ، فلما اجتمعوا وفرغوا من تناول طعامهم وشرابهم كلمهم الرسول (ﷺ) في امر دعوته فعارضه ابو لهب ولم يلب دعوته احد من الحاضرين سوى الامام علي (رض) وكان اصغر الحضور سناً[19] ، والذي كانت مساندته للرسول (ﷺ) ودعوته امراً طبيعياً كما قدمنا بحكم اسلامه وعيشه مع الرسول (ﷺ) .

اعتباراً من تاريخ الجهر بالدعوة في حدود سنة ٦١٣م دخلت الدعوة مرحلة المواجهة مع مشركي مكة بقيادة رجال الملأ فيها ، إذ وجد هؤلاء « الملأ » من سادة العشائر المكية ، وأغنيائها ان الدعوة للتوحيد تهدد نفوذهم ومكانتهم بين العرب بسبب تعارضها مع « الشرك » وعبادة الاوثان التي كانت سائدة بين العرب والتي ارتبطت طقوس الحج الى مكة بها ، كما ارتبط بكل ذلك نفوذ رجال الملأ المكي واحلافهم التجارية مع القبائل العربية .

لقد شعر رجال الملأ ، اضافة الى ماتقدم بأن طبيعة الرسالة الاسلامية ، وقيادة الرسول محمد بن عبدالله (ﷺ) لها بصفته رسول الله وهو ليس من رجال الملأ ولا ينتمي الى إحدى العشائر المكية الغنية - تشكلان تحدياً سياسياً يهدد مكانتهم ونفوذهم في مكة وبين العرب

بالخطر . لذا فقد نقل القرآن على لسانهم تساؤلهم عن السبب في نزول القرآن على محمد ، وهو ليس عظيماً في قومه من وجهة نظرهم التي تربط العظمة بالغنى والثروة « وقالوا لـولا نزل هـذا القرآن عـلى رجل من القريتين عظيم »[٢٠] وقد ذكر انهم قصدوا بذلك الوليد بن المغيرة الذي كان عظيماً في مكة وعروة بن مسعود الثقفي الذي كان عظيم الطائف .

وقد تولى القرآن الكريم الرد على تساؤل رجال الملأ هذا بتوضيح ان مكانة الافراد عند الله لاتقوم على اساس كثرة اموالهم ونفوذهم وانما تستند على جدارتهم الاخلاقية والروحية[٢١] .

وهكذا فقد انطلق رجال الملأ في معارضة الدعوة الاسلامية من منطلق الحفاظ على مصالحهم الاقتصادية والسياسية غير انهم حاولـوا تغليف هذه الدوافع بزعم انهم إنما يفعلون ذلك من أجل حماية تقاليد الآباء والأجداد التي اخذت تعاليم الاسلام الجديدة تتهددها بالخطر ، وبذلك يضمنون تضليل عامة الناس عن حقيقة الاهداف التي تدفعهم لمقاومة الدعوة ويتمكنون من حملهم على التضـامن معهم في موقفهم المكذب للدعوة والرافض لمبادئها التي جاءت في الحقيقة لصالح هؤلاء الناس وخيرهم .

وقد اوضح القرآن الكريم ان الجمود على تقاليد الآباء والاجداد ورفض استخدام العقل في الحكم على المبادىء التي يأتي بها الرسل هي من سمات الطبقة الغنية المترفة « وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . قالو إنا بما ارسلتم به كافرون »[٢٢] .

لقد ترتب على معارضة رجال المـلأ للدعوة ، وتضـامن عامـة

الناس في مكة معهم في موقفهم ان انقسم الناس في مكة الى فئتين : أقلية مؤمنة تدعو الى مبادىء الاسلام بقيادة الرسول (ﷺ) ، وأغلبية كافرة تعارض هذه الدعوة وتستخدم نفوذها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي من اجل القضاء عليها .

وقد وجد ابو طالب باعتباره عم الرسول (ﷺ) ورئيس عشيرته ان من واجبه حماية الرسول (ﷺ) والدفاع عنه ومنع كفار مكـه من الوصول اليه بما يكره . وفي المقابل فقد حاول رجال الملأ ممارسة شتى انواع الضغط على ابي طالب من اجل حمله على اقناع الرسول (ﷺ) بالتخلي عن الدعوة او التبشير بها[٢٣] غير ان مسعاهم هـذا لم يكلل بالنجاح بسبب صلابة الرسول (ﷺ) في التمسك بمبادئه وتعاطف ابي طالب معه ورفضه التخلي عن حمايته . لذا فقد اتفق رجال الملأ على معاقبة بني هاشم وبني عبدالمطلب مسلمهم وكافرهم عن طريق مقاطعتهم اقتصادياً واجتماعياً ، فكتبوا فيما بينهم كتاباً « يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ان لاينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم »[٢٤] . لقد شملت هذه المقاطعة جميع بني هاشم وبني المطلب عدا أبي لهب الذي اعلن تخليه عن ابناء عشيرته وتضامنه مع رجال الملأ في مقاومة الدعوة الاسلامية[٢٥] . وبذلك يمكن تقسيم من شملتهم المقاطعة من بني هاشم وبني المطلب الى فئتين : مسلمين وبضمنهم رسول الله (ﷺ) وزوجته السيدة خديجة (رض) وعلي بن ابي طالب (رض) وحمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف . . وغير مسلمين . يقول ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة « وكان العباس رحمه الله في حصار الشعب معهم الا انه كان على دين قومه ، وكذلك عقيل بن ابي طالب ، وطالب بن

ابي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، وابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب - وكان شديداً على رسول الله (ﷺ) وآله يبغضه ويهجوه بالاشعار ، إلاّ أنه كان لايرضىٰ بقتله ، ولا يقار قريشاً في دمه ، محافظة على النسب - وكان سيد المحصورين في الشعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبدالمطلب ، وهو الكافل والمحامي »[٢٦] .

لقد كان للمقاطعة أثر عميق على اوضاع بني هاشم وبني المطلب الاقتصادية وذلك لأنهم اضطروا الى الانحياز الى شعب ابي طالب والعيش معه في ظل حياة اقتصادية قاسية ، لأن ابا طالب وعامة افراد عشيرته لم يكونوا اغنياء ، بل ان حالة أغلبهم كانت اقرب الى الفقر منها الى الغنى . ومن ثم ، فقد اثرت المقاطعة عليهم كثيراً . وقد وصف ابن اسحاق حالتهم بقوله : « فضاق الامر ببني هاشم وعدموا القوت ، الا ماكان يحمل اليهم سراً وخفية وهو شيء قليل لايمسك ارماقهم ، وأخافتهم قريش ، فلم يكن يظهر منهم أحد ، ولا يدخل اليهم أحد وذلك اشد مالقي رسول الله (ﷺ) وآله ، واهل بيته في مكة »[٢٧] .

وقد حركت معاناة بني هاشم وبني المطلب من الجوع والحاجة عاطفة بعض رجال قريش الذين تربطهم بهم صلة الرحم ، ردفعتهم الى محاولة تقديم العون لهم وايصال بعض المؤن اليهم . فقد روي ان حكيم بن حزام حاول ايصال شيء من القمح الى عمته السيدة خديجة بنت خويلد (رض) وهي عند رسول الله (ﷺ) محاصرة في الشعب ، فتعلق به ابو جهل بن هشام وقال : « أتحمل الطعام الى بني هاشم ! والله لاتبرح انت وطعامك حتى افضحك بمكة ! فجاءه ابو البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى ، فقال : مالك

وله ! قال : انه يحمل الطعام الى بني هاشم ، فقال ابـو البختري : ياهذا ان طعاماً كان لعمته عنده بعثت اليه فيـه ، أفتمنعه ان يـأتيها بطعامها ! خلِ سبيل الرجل ، فأبىٰ ابو جهل حتى نال كل منهـما من صاحبه ، فأخذ له ابو البختري لحي بعير فضربه به ، فشجه ووطأه وطأً شديداً . فأنصرف وهو يكره ان يسمع رسول الله (ﷺ) وآلـه وبنو هاشم بذلك فيشمتوا »[٢٨] . كما روي ان هشام بن عمرو بن الحارث كان « يأتي بالبعير ليلاً وقد اوقره طعاماً ، وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب حتى إذا أقبل به فم الشعب فمنع بخطامه من رأسه ، ثم يضربه على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، ثم يأتي به مرةً اخرى ، وقد اوقره ثمراً فيصنع به مثل ذلك » .[٢٩]

وقد استمرت المقاطعة مدة تتراوح بين سنتين الى ثلاث سنوات تحمل فيها رسول الله (ﷺ) وأفراد عشيرته ـ وكان منهم علي بن ابي طالب (رض) أقسى انواع الشدة والعنت حتى تحركت ضمائر بعض أفراد قبيلة قريش فسعوا الى انهاء المقاطعة .

وربمـا كان في الاسبـاب التي ذكروهـا من اجلة إنهاء المقاطعـة مايوضح مدى معاناة الرسول (ﷺ) وقومه طوال فترة المقاطعة . فقد قال هشام بن عمرو بن الحارث العامري مخاطباً المطعم بن عدي : « يا مطعم ، أقد رضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف ، وانت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه » كما قال مخاطباً أهل مكة : « يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم ! . . . »[٣٠] .

وهكذا فقد اثبتت المقـاطعة مـدى قوة ايمـان الرسـول (ﷺ) وصحبه من بني هاشم وبني المطلب وعلى رأسهم بن عمه علي ابن ابي

طالب (رض) وعمه حمزة . كما برهنت على مدى تعاطف وتضـامن ابناء وعشيرتهم معهم في محنتهم حتى قبل اعتناقهم الاسلام .

واذا كانت المصادر لم تتحدث بشيء من التفصيل عن مواقف الامام علي بن ابي طالب (رض) أثناء المقاطعة لأن موقفه كان مندمجاً في اطـار الموقف العـام لبني هاشم وبني عبـدالمطلب ، فـإن للباحث ان يفترض ان موقفه كان يتميـز بنوع من الخصـوصية بحكم عيشـه مع الرسول (ﷺ) واعتزازه بموقف ابيه المدافع عن صاحب الـدعوة في اقسى محنة تعرض لها . . ومع ذلك فقد اورد ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ان الامام علياً (رض) « كان يخرج ليلاً من الشعب ، ويخفي نفسه ، ويضائل شخصه ، حتى يأتي الى من يبعثه اليه ابو طالب من كبراء قريش ، كمطعم بن عدي وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره اعدال الدقيق والقمح ، وهو على اشد خوف من اعدائهم كأبي جهل وغيره ، لو ظفروا به لأراقوا دمه »[٣١] .

وان للقارىء ان يتصور مقدار ما تعلمه الامام علي (رض) وهو في مطلع شبابه من دروس وعبر وهو يقف صامداً بجانب أبيـه، أبي طالب وابن عمه رسول الله (ﷺ) وبقية أفراد عشيرته في مواجهة مكائد المشركين، ويتحمل آلام المقاطعة الاجتماعيـة والحرمـان الاقتصادي بسبب الثبات على المبدأ والعقيدة .

ولم تكد محنة المقاطعة تنتهي حتى تعرض الامام علي (رض) لمحنة فقد والده ابي طالب، اذ تشير المصادر الى ان أبا طالب قد تـوفي قبل هجرة الرسول (ﷺ) الى المدينة بثلاث سنوات[٣٢] .

ولم تكن محنة الامام علي (رض) بوفاة والده مجرد شعوره بالحزن والالم على فقدان أبٍ كريم وسيد من سادات قومه، بل ان محنته بفقده

كانت محنة عامة شملت الرسول (ﷺ) وعامة المسلمين . وذلك لأن ابا طالب كان قد منح حمايته ورعايته للرسول (ﷺ)، فلم يستطع احد من المشركين مد يد الاذى اليه . فلما توفي أبو طالب وانتقلت زعامة بني عبدالمطلب الى أخيه ابي لهب تجرأ المشركون على إيذاء الرسول (ﷺ) واضطهاد اصحابه . يقول ابن اسحاق : «فلما هلك ابو طالب، نالت قريش من رسول الله (ﷺ) من الاذى مالم تكن تطمع به في حياة ابي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً . . . فدخل رسول الله (ﷺ) بيته والتراب على رأسه، فقامت احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله (ﷺ) يقول لها : «لاتبكي يابنية، فإن الله مانع اباكِ . قال: ويقول بين ذلك: مانالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات ابوطالب»(٣٣) .

وان للقارىء ان يتمثل مقدار الحزن والاسىٰ الذي كان يصيب الامام علياً (رض) وهو يشاهد مايصيب الرسول (ﷺ) وهو منه بمثابة الولد على يد سفهاء قومه . . . . ثم هو لايستطيع ان يستخدم قوته البدنية العظيمة لقتالهم والدفاع عن رسول الله (ﷺ) ضد عدوانهم لانه لم يؤذن للمسلمين في هذه المرحلة بقتال المشركين . لقد كان على الامام علي (رض) وبقية المؤمنين ان يصبروا على أذى المشركين واضطهادهم وان يتحلوا بالحكمةِ في مواجهة سفههم، ويسلكوا سبيل الموعظة الحسنة في تبليغ الدعوة عملاً بقوله تعالىٰ : «ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن»(٣٤) .

٦ ـ هجرته الى المدينة :ـ

أمضى الرسول (ﷺ) السنوات الثلاث التي اعقبت وفاة ابي طالب في البحث عن ملجأ وحماية للدعوة خارج مكة بعد ان اشتد أذى المشركين له وضاقت امامه فرص تبليغ الدعوة في مكة. وقد صادفت جهوده نجاحاً كبيراً لدى اهل المدينة من الاوس والخزرج، فطلب الرسول (ﷺ) من أتباعه الهجرة الى المدينة بصورة تدريجية عدا ابا بكر الصديق وعلى بن أبي طالب (رض) عنهما، حيث طلب منهما البقاء معه في مكة ريثما يقرر وقت واسلوب هجرته الى المدينة .

ولابد ان الامام علياً (رض) قد شعر بالغبطة والسعادة وهو يرى مقدار ثقة الرسول (ﷺ) به، واعتماده عليه، حيث استبقاه وابا بكر معه في مكة من دون سائر المؤمنين . . . ان وراء هذا الاستثناء ما وراءه من واجبات ومسؤوليات . . . فليتريث ولينتظر اوامر الرسول (ﷺ) حينما يحين الوقت المحدد لذلك .

ومضى الرسول (ﷺ) يدرس موقف قبيلة قريش وخططها لمنعه من الهجرة الى المدينة ويضع الخطط التي تساعده على التغلب على كيدها بالتعاون مع أبي بكر الصديق (رض) . فقد روى ابن اسحاق ان قريشاً خافت من عواقب هجرة الرسول (ﷺ) واصحابه الى المدينة فأجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيها حول ما ينبغي عليهم ان يصنعوه في امر الرسول (ﷺ) . وبعد حوار طويل اتفقوا على الرأي الذي أبداه ابو جهل بن هشام، وهو ان يؤخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً، ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا اليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه . فإنهم ان فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً،

فيرضون بالعقل فيأخذون الدية عن دمه من القبائل التي اشترك ابناؤها في قتله[٣٦] .

وحين علم الرسول (ﷺ) بهذه الخطة وعزم قريش على قتله للحيلولة بينه وبين الهجرة الى المدينة، اتفق مع ابي بكر الصديق على الهجرة سراً على راحلتين كان ابو بكر قد جهزهما لهذا الغرض . ثم استأجرا دليلاً يدلهما على الطريق، وهو عبدالله بن أرقط وكان مشركاً . قال ابن اسحاق : «فلما أجمع رسول الله (ﷺ) الخروج، أتىٰ أبا بكر بن أبي قحافة، فخرجا من خوخةٍ لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدوا الى غارٍ ثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه، وأمر ابو بكر ابنه عبدالله بن ابي بكر ان يتسمع لهما ما يقوله الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما اذا أمسىٰ بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة مولاه ان يرعىٰ غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما، يأتيهما اذا أمسىٰ في الغار، وكانت اسماء بنت ابي بكر تأتيهما من الطعام اذا أمست بما يصلحهما» .

وكان الرسول (ﷺ) قبل هجرته قد طلب من علي بن ابي طالب (رض) ان ينام في فراشه ليلة الهجرة كي يخدع المشركين ويصرف انظارهم عن حقيقة خطته في الهجرة . روى ابن اسحاق ان جبريل عليه السلام اتىٰ رسول الله (ﷺ) فقال : « لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه . قال : فلما كانت عتمة من الليل، اجتمعوا - أي المشركون - على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله (ﷺ) مكانهم قال لعلي بن أبي طالب، نم على فراشي وتسجَ - أي غط جسدك ووجهك - ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم»[٣٧]. ثم تسلل خارجاً من بيته دون ان تلمحه أنظار المشركين، فكانوا طوال

الليل جلوساً عند باب بيت الرسول (ﷺ) ينتظرون ويتطلعون «فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول الله (ﷺ) فيقولون : والله ان هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى اصبحوا، فقام علي (رض) عن الفراش»[٣٨] فأدرك المشركون أنهم قد خدعوا وان خطتهم قد فشلت بفضل دقة الرسول (ﷺ) في مواجهة خطط الاعداء، وروح الشجاعة والتضحية والفداء التي كان يتحلىٰ بها ابن عمه وربيبه علي بن ابي طالب (رض) .

ان قبول الامام علي (رض) القيام بهذه المهمة الفدائية التي كلفه الرسول (ﷺ) بأدائها تتطلب ممن يتصدى لها رباطة جأش وقوة اعصاب واستعداد لبذل النفس عن طيب خاطر . وقد كان الامام علي (رض) اهلا للأضطلاع بهذه المسؤولية الخطيرة التي يتوقف على نجاحه فيها حماية رسول الله (ﷺ) وحماية القضية التي يجاهد من أجلها .

وقد وصف القرآن الكريم نجاح الرسول (ﷺ) في الافلات من قبضة المشركين وافشال مؤامرتهم على حياته بقوله : «واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»[٣٩] .

هذا، ومن الجدير بالملاحظة ان مهمة الامام علي (رض) لم تقتصر على المبيت في مكان الرسول (ﷺ) بل ان الرسول كان قد كلفه بمهمة اخرى تدل على مكانه من رسول الله (ﷺ) ومدى اعتماده عليه في المهمات الدقيقة التي تتطلب من صاحبها ان يتحلىٰ بصفات اخلاقية رفيعة . فقد ذكر ابن اسحاق ان الرسول (ﷺ) أمر علياً (رض) «ان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس»[٤٠]، «فأقام علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها حتى أدى عن رسول الله

(ﷺ) الودائع التي كانت عنده للناس، حتى اذا فرغ منها لحق برسول الله (ﷺ) فنزل معه على كلثوم بن هدم»[٤١].

الفصل الثاني

الامام علي بن ابي طالب (رض) في المدينة

لقد وصل الامام علي بن ابي طالب الى قباء، وهي احدى ضواحي المدينة في منتصف شهر ربيع الاول، أي بعد وصول الرسول (ﷺ) اليها بثلاثة ايام، وربما كان ذلك في يوم الخميس، لان الرسول (ﷺ) كان قد وصل الى قباء يوم الاثنين[42] .

وقد ذكر ابن اسحاق ان الامام علياً (رض) حين وصل قباء نزل مع الرسول (ﷺ) على كلثوم بن هدم من الانصار . غير انه لم يمكث في قباء سوى يوم واحد، ثم غادرها متوجهاً الى المدينة في يوم الجمعة بصحبة رسول الله (ﷺ) . وقد ذكر ان وقت صلاة الجمعة ادركهم في الطريق فصليا الجمعة مع من حضر من المسلمين في بطن الوادي عند بني سالم بن عوف ، فكانت أول صلاة جمعة يقيمها الرسول (ﷺ) في المدينة[43] .

وعند وصول المدينة نزل الرسول (ﷺ) في بيت ابي ايوب خالد بن زيد الانصاري حتى بني له مسجده ومساكنه . «فعمل فيه رسول الله (ﷺ) ليرغب المسلمين في العمل فيه، فعمل فيه المهاجرون والانصار ودأبوا فيه. فقال قائل من المسلمين :-

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

قال ابن اسحاق، فيقول رسول الله (ﷺ): لا عيش الا عيش الآخرة، اللهم ارحم المهاجرين والانصار .

.... وارتجز علي بن ابي طالب (رض) يومئذ :

لايستوي من يعمر المساجدا يدأب فيه قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر، عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا ان على بن ابي طالب ارتجز به ، فلا يدري اهو

قائله ام غيره»[٤٤].

ان ماورد اعلاه يشير الى ان الامام علياً (رض) قد عمل في بناء المسجد ومساكن رسول الله (ﷺ)، وأنه كان يرتجز الشعر في اثناء العمل من أجل إذكاء روح الحماس في نفوس العاملين من اجل مضاعفة العمل .

١ ـ المؤاخاة :ـ

بعد ان فرغ الرسول (ﷺ) من بناء المسجد، آخىٰ بين المهاجرين والانصار، فقال: «تآخوا في الله اخوين اخوين»، وقد ذكر السهيلي ان الرسول (ﷺ) آخىٰ «بين اصحابه حين نزلوا بالمدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم عن مفارقة الاهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الاسلام، واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، انزل الله سبحانه : «واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله» أعنى في الميراث . ثم جعل المؤمنين كلهم اخوة فقال: «إنما المؤمنون اخوة» : يعني في التوادد، وشمول الدعوة»[٤٥] .

وقد ذكر ابن اسعد انه كانت هنالك عمليتا مؤاخاة، فكانت المؤاخاة الاولى بين المهاجرين أنفسهم، اما المؤاخاة الثانية فقد تمت بين المهاجرين والانصار . يقول ابن سعد: «لما قدم رسول الله (ﷺ)، آخى بين المهاجرين بعضهم فبعض، وآخى بين المهاجرين والانصار، فلم تكن مؤاخاة الا قبل بدر، آخى بينهم على الحق والمؤاساة»[٤٦]. لذا فقد اعلن الرسول (ﷺ) في المؤاخاة الاولىٰ، المؤاخاة بينه (ﷺ) وبين علي بن ابي طالب (رض) «فوضع يده على منكب علي ثم قال: أنت اخي ترثني وأرثك، فلما نزلت آية الميراث قطعت ذلك»[٤٧].

اما المؤاخاة الثانية فقد جعلها الرسول (ﷺ) بين المهاجرين والانصار فكان لكل مهاجر اخ من الانصار. ذكر ابن سعد ان الرسول (ﷺ) آخى بين علي بن ابي طالب (رض) وسهل بن حنيف[٤٨]. ولم تسعفنا المصادر التاريخية بمعلومات وافية عن العلاقة بين علي بن ابي طالب (رض) وأخيه سهل بن حنيف الانصاري، وهل عاش الامام علي (رض) في بيته فترة من الزمن ام لا، وهل عمل معه ام لا، كما حصل بالنسبة للعديد من المهاجرين مع اخوانهم الانصار. غير ان المصادر تشير الى ان العلاقة بين الامام علي (رض) وسهل بن حنيف كانت ممتازة حتى وفاته في العراق في عهد خلافة الامام علي (رض)، وان كانت ترجع ذلك الى سبب آخر. فقد ذكر ابن اسحاق ان سبب اعجاب الامام علي بسهل بن حنيف يرجع الى ما ذكره الامام علي (رض) من انه «كانت بقباء إمرأة لا زوج لها، مسلمة. قال: فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج اليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه. قال: فأستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة، فتخرجين اليه فيعطيك شيئاً لا ادري ماهو، وأنت إمرأة مسلمة لا زوج لك؟ قالت هذا سهل بن حنيف ابن واهب، قد عرف أني امرأة لا احد لي، فإذا أمسىٰ عدا على اوثان قومه فكسرها، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا. فكان علي رضي الله عنه يأثر ذلك من امر سهل بن حنيف ـ أي يحدث به ـ حتى هلك عنده في العراق»[٤٩]. وقد ذكر الطبري، ان الامام علياً (رض) كان قد أقام لدى هذه المرأة عند وصوله الى قباء بعد هجرته من مكة ليلة او ليلتين مما أتاح له مشاهدة هذه الحادثة[٥٠].

ويبدو للباحث، انه لا تعارض بين هذه الحادثة التي كان من

آثارها اعجاب الامام علي (رض) بشجاعة وشهامة وايمان سهل بن حنيف وبين مؤاخاة الرسول (ﷺ) بينهما، اذ ربما كان الامام علي قد عبر عن حبه واعجابه بهذا الانصاري بعد وصوله الى المدينة، لذا اختاره الرسول (ﷺ) ليكون أخاً للامام علي (رض) حين اراد ان يؤاخي بين اصحابه من المهاجرين والانصار. وهكذا فقد جمع الامام علي (رض) في هذه المؤاخاة بين اخوته للرسول (ﷺ) التي جاءت امتداداً لعلاقاته العميقة معه منذ طفولته وحتى هجرته ـ كما اوضحنا آنفاً ـ وبين اخوته لسهل بن حنيف الانصاري .

٢ ـ حياته في المدينة :ـ

تعد هجرة المسلمين المكيين الى المدينة بداية عهد جديد في حياة الدعوة والجماعة الاسلامية، اذ بعد ان كان المسلمون المهاجرون محكومين من قبل رجال الملأ الذين يخالفونهم في العقيدة ويضطهدونهم، اصبحوا هم الحاكمين الذين يعملون على تنظيم شؤون الحياة والمجتمع وفقاً لتعاليم الرسالة الاسلامية تحت قيادة الرسول (ﷺ) .

واذا كان نجاح المسلمين في اقامة دولتهم المستقلة في المدينة قد شكل ميزة كبيرة لهذه المرحلة من مراحل حياة الدعوة الاسلامية ميزتها عن المرحلة المكية التي كان فيها المسلمون مستضعفين من قبل اغنياء مكة وكبرائها، إلا أنها ألقت على كاهل الرسول (ﷺ) وأصحابه أعباءاً جسيمة؛ كان من ابرزها مواجهة الضائقة الاقتصادية التي أخذ يواجهها المهاجرون نتيجة مصادرة المشركين لاموالهم في مكة . مما تطلب السعي لايجاد اعمال لهم لسد حاجاتهم المعاشية وتدبير مساكن لهم كي يسكنوا فيها مع عيالهم .

وقد حاول الرسول (ﷺ) حل هذه المشكلة بصورة مؤقتة عن طريق المؤاخاة بين المهاجرين والانصار . . . إذ سمح الانصار لأخوانهم المهاجرين في العيش معهم في مساكنهم ومشاركتهم العمل في مزارعهم . غير ان هذا الحل كان ذا طابع مؤقت لأن من الصعب على المهاجرين المتزوجين ان يستمروا في العيش في بيوت الانصار . . . كما ان معظم المهاجرين المكيين كانوا تجاراً ويجهلون أصول العمل في الزراعة . . مما يجعل عملهم في الزراعة عملاً مرهقاً وغير منتج كثيراً .

ويبدو ان الامام علياً بن أبي طالب (رض) قد واجه من المصاعب في بداية حياته في المدينة ما واجهه معظم إخوانه من المهاجرين، إذ لم يعرف عن الامام علي (رض) انه كان قد احترف حرفة في مكة؛ لانه كان قد كرس وقته وحياته خلال المرحلة المكية لمعاونة الرسول (ﷺ) ومساعدته في امور بيته وفي نشر الدعوة الاسلامية . لذا فإن للباحث ان يفترض ان الامام علياً (رض) قد واجه متاعب كثيرة وهو يحاول التكيف مع الحياة الجديدة في المدينة، خاصة وأنه لم يكن لديه شيء من المال يستعين به في تدبير امور حياته الخاصة .

ولم يكن الرسول (ﷺ) في بداية المرحلة المدنية يملك من المال ما يمكنه من تقديم معونة واضحة لابن عمه وأخيه علي بن ابي طالب (رض) . لذا فإن بالامكان الافتراض انه قد استند الى معونة أخيه الانصاري سهل بن حنيف في التغلب على بعض المصاعب المعاشية التي واجهته في بداية هذه المرحلة، وان كانت هذه المعونة محدودة جداً لان المصادر التاريخية تؤكد ان سهل بن حنيف نفسه كان فقيراً حيث ان الرسول (ﷺ) كان قد اعطاه شيئاً من فيء بني النضير خلافاً لبقية الانصار بسبب فقره[٥١] .

وتشير الاخبار الى ان الامام علياً (رض) قد تردد في التقدم لخطبة ابنة عمه السيدة فاطمة (رض) حين اقترح عليه ذلك في السنة الثانية للهجرة لأنه لم يكن يمتلك شيئاً يقدمه صداقاً لزواجه منها . فقد روي عن الامام علي (رض) ان مولاة له سألته ان يذهب الى الرسول (ﷺ) ويخطب منه السيدة فاطمة (رض) قبل ان يسبقه الآخرون بخطبتها فقال له : «وعندي شيء اتزوج به ؟! فقالت: انك ان جئت رسول الله (ﷺ) يزوجك . فوالله مازالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله (ﷺ) ، وكانت لرسول الله (ﷺ) جلالة وهيبة ، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما أتكلم . فقال: ماجاء بك، ألك حاجة ؟ فسكت . فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ قلت: نعم. قال: وهل عندك من شيء تستحلها به ؟ قلت: لا والله يارسول الله . فقال: ما فعلت الدرع التي سلحتكها ؟ فقلت: عندي، والذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها اربعمائة درهم . قال : قد زوجتكها فآبعث بها، فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)»[٥٢] .

وقد ذكر رسول الله (ﷺ) طلب من علي (رض) ان يبيع تلك الدرع ، فباعها بأربعمائة وثمانين درهماً، وقدمها الى الرسول (ﷺ) الذي أمر بأن يجهزوا فاطمة بها[٥٣] .

وكان جهاز السيدة فاطمة (رض) يتألف من «خميلة وقربة ووسادة من ادم حشوها ليف» [٥٤] . كما روي عن علي (رض) انه قال: «لقد تزوجت فاطمة ومالي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه الناضح - أي الجمل - في النهار ومالي ولها خادم»[٥٥].

وتشير الاخبار الى ان رهطاً من الانصار قد استقبلوا زواج علي (رض) من السيدة فاطمة (رض) بفرح شديد، فتبرع له احد الانصار

بغرفه كي يتزوج بها. لانه لم تكن لديه دار كما ذكر الطبرسي في اعلام الورى كما بادر آخرون بإقامة وليمة عرس له «فقال سعد عندي كبش، وجمع له رهط من الانصار آصعاً من ذره»[٥٦] . وقد روي عن جابر انه قال في وصف هذه الوليمة «حضرنا عرس علي وفاطمة، فما رأيت عرساً كان أطيب منه، حشونا البيت طيباً، وأتينا بتمر وزبيب فأكلنا»[٥٧] .

٣ ـ حياته الزوجيه :ـ

تزوج الامام علي (رض) من السيدة فاطمة (رض) في اواخر السنة الثانية للهجرة . فقد روي انه «تزوج علي فاطمة في صفر في السنة الثانية من الهجرة وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من التاريخ»[٥٨] . وبذلك يكون سن الامام علي (رض) حين زواجه من السيدة فاطمة (رض) حوالي خمس وعشرين سنة، على افتراض ان عمره كان عند نزول الرسالة على الرسول (ﷺ) عشر سنوات ـ كما اوضحنا آنفاً .

اما السيدة فاطمة (رض)، فإن ارجح الروايات تؤكد انها قد توفيت في السنة الحادية عشرة للهجرة، أي بعد وفاة الرسول (ﷺ) ببضعة اشهر وكان عمرها آنذاك حوالي ثلاثين سنة . فإذا صح هذا التقدير فإن عمر السيدة فاطمة (رض) عند زواجها كان واحداً وعشرين سنة[٥٩] . أي انها كانت اصغر من الامام علي (رض) بأربع سنوات .

وان للباحث ان يستنتج ان جميع الظروف كانت قد توفرت لخلق حياة زوجية تقوم على المحبة والانسجام بين الامام علي والسيدة فاطمة (رض) . فقد نشأ كلا الزوجين في بيت واحد منذ طفولتهما، وجمعتهما آمال وآلام مشتركة فرضتها ظروف الدعوة الاسلامية، اضافة الى

تقاربهما في السن وصلة القرابة الوثيقة بينهما. ومن ثم فقد كان الرسول (ﷺ) حريصاً على ان يعقد صلة القران بين احب بناته اليه وبين ابن عمه وربيبه واخيه في العقيدة .

ومع ذلك فقد قام الرسول (ﷺ) باستشارة ابنته السيدة فاطمة (رض) قبل تزويجها من علي (رض) لمعرفة رأيها «فسكتت فخرج فزوجها»[٦٠].

لقد عد الرسول (ﷺ) سكوت السيدة فاطمة (رض) في هذا المجال قبولاً، لانه من المعروف ان السكوت في معرض الحاجة الى البيان يعد قبولاً، خاصة وان البنات في البيئة العربية يصيبهن الخجل حين يستشرن من قبل آبائهن في موضوع الزواج . وقد جاء في الحديث الصحيح ان أذن الفتاة الباكر في الزواج صماتها .

لقد ذهب احد المستشرقين الى ان سكوت السيدة فاطمة (رض) حين استشارها الرسول (ﷺ) في الزواج من الامام علي (رض) كان «عن حياء او حيرةٍ مادامت قد قالت لأبيها، ذات يوم، انه زوجها بمعسر. . .»[٦١] . والحقيقة ان هذا الرأي يتناقض حتى مع مفهومه هو في تفسير معنى السكوت فقد ذكر انه «كان من العادة ان البنت اذا وافقت على الزواج سكتت»[٦٢] . ان شكوى السيدة فاطمة (رض) من حالة العسر والفقر التي كان عليها زوجها قد جاءت بعد زواجها بفترة من الزمن وليس قبل الزواج . ومن ثم فليس بالامكان اعتبارها دليلاً على حيرتها او عدم موافقتها على الزواج .

ان السيدة فاطمة (رض) قد نشأت في بيت النبوة مع الامام علي (رض) وتلقت معه دروس الايمان والزهد في المال على يد الرسول (ﷺ) ومن ثم فإن من المستبعد ان تقيس امور الحياة وفقاً للمعايير المادية البحته التي جاء الاسلام لتغييرها استناداً الى قوله تعالى : «ان أكرمكم عند

الله اتقاكم»[٦٣] .

لقد انتقلت السيدة فاطمة (رض) الى بيت الزوجية البسيط الذي هيأه لها زوجها (رض)، وراحت تشاركه قسوة الحياة وتتحمل اعباء الجهاد في سبيل الاسلام برضى كما كانت تفعل مع أبيها طوال الفترة السابقة . واذا كانت كتب التاريخ قد امدتنا ببعض الاخبار عن مدى معاناة السيدة فاطمة (رض) من مصاعب حياة الفاقة والفقر، فإن ذلك راجع الى رغبة الكتاب في توضيح ابعاد حياة التقشف والزهد الذي ارتضت ان تعيش فيه السيدة فاطمة (رض) وزوجها لتكون مثالا يقتدي به الناس وتتأسىٰ به نساء المؤمنين . وسنورد فيما يأتي بعض الصور عن حياة السيدة فاطمة (رض) في بيت الامام علي (رض)، وما عانته نتيجة الحاجة والمبدئية العالية التي كانا يلتزمان بها في حياتها الخاصة والعامة :ـ

أ ـ كان الامام علي (رض) يعمل على كسب قوته بعرق جبينه، فقد روي عنه انه قال «جعت بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت اطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأةٍ قد جمعت مدراً ـ أي الطين المتماسك ـ فظننتها تريد بله، فأتيتها فعاطيتها كل دلو بتمرة، فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يدي، ثم أتيتها فقلت بكلتا يدي هكذا بين يديها . . . فعدت لي ست عشرة تمرة»[٦٤] . وفي رواية اخرى ان الامام علياً (رض) عمل لدى يهودي، فكان «ينزع لليهودي كل دلو بتمرة . . . »[٦٥] . . . وهكذا فقد كان الامام علي (رض) يبحث عن العمل، ويؤجر طاقته لمن يحتاجه مقابل عوض عيني، تمر مثلا او نقود .

ب ـ ويبدو ان دخل الامام علي (رض) من عمله لم يكن يضمن لعائلته سوى كفاف العيش، اما في حالة عدم العثور على عمل فقد كان

افراد العائلة يبيتون على الطوى جياعاً، فقد روي ان الرسول (ﷺ) أتى يوماً السيدة فاطمة (رض) فقال : «أين ابناي يعني حسناً وحسيناً قالت «اصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق . . . »[٦٦].

جـ ـ وعلى الرغم من الحاجة الشديدة الى المال فقد كان الامام علي وزوجته رضي الله عنهما شديدي التدقيق في مسألة الحلال والحرام فقد روي ان الامام علي (رض) عثر في أحد الايام على دينار، ولم يجد صاحبه، وكان افراد عائلته في حاجة شديدة الى الطعام، فخرج فأشترى دقيقاً ولحماً وجاء به الى السيدة فاطمة (رض) فصنعت منه طعاماً «وارسلت الى أبيها (ﷺ) فجاءهم، وقالت : يارسول الله، اذكر لك، فإن رأيته حلالا أكلنا وأكلت : من شأنه كذا وكذا. فقال كلوا باسم الله، فأكلوا، فبينما هم بمكانهم وإذا بغلام ينشد الله والاسلام الدينار» فأمر رسول الله (ﷺ) بدفع الدينار الى الغلام وتحمل هو ثمن اللحم الذي اشتراه الامام علي (رض) من الجزار[٦٧] .

د ـ يبدو ان بنية السيدة فاطمة (رض) لم تكن قوية، وكان العمل المنزلي يتعبها على الرغم من معاونة زوجها الامام علي (رض) لها في بعض الامور، لذا فقد اتفقا على ان يأتيا الرسول (ﷺ) فيسألانه المعاونة : «فقال علي يارسول الله، لقد سنوت ـ أي استقيت ماءاً من البئر ـ حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة، وقد طحنت حتى مجلت يداي ـ اي ظهر فيها مايشبه البثور ـ، وقد جاء الله بسبي وسعه، فأخذ منا، قال: والله لا اعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعه وانفق عليهم اثمانهم»[٦٨].

وهكذا نلاحظ ان الرسول (ﷺ) قد قدم حبه للمصلحة العامة ورغبته على مساعدة المحتاجين من اهل الصفة على مساعدة احب

الناس اليه وهما ابنته السيدة فاطمة وزوجها الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما .

هـ ـ وتشير الاخبار الى ان حالة الامام علي (رض) الاقتصادية قد تحسنت في اواخر المرحلة المدنية بعد الانتصارات المتوالية التي حققها الرسول (ﷺ) على المشركين واليهود، اذ قام الرسول (ﷺ) باقطاع الامام علي (رض) أربع قطع زراعية في يثرب للاستفادة من غلتها . وقد ترتب على ذلك ان تحسنت الحالة المعاشية لافراد عائلته . كما روي انه (رض) جاء لزوجته فاطمة (رض) بقلادة من ذهب لتتزين بها . غير ان الرسول (ﷺ) لم يوافق على ذلك . فقد ذكرت اسماء بنت عميس انها «كانت عند فاطمة اذ دخل عليها النبي (ﷺ) وفي عنقها قلادة من ذهب أتى بها علي بن ابي طالب عليه السلام من سهم صار اليه . فقال لها : يابنية لاتغتري بقول الناس، فاطمة بنت محمد وعليك لباس الجبابرة . فقطعتها لساعتها وباعتها ليومها واشترت بالثمن رقبة مؤمنة فأعتقتها . فبلغ ذلك رسول الله (ﷺ) فسر بعتقها، وبارك علياً»(٦٩) .

ان ما تقدم يؤكد، ماذهبنا اليه من ان حياة التقشف والبساطة التي كان يحياها الامام علي والسيدة زوجته رضي الله عنهما لم يكن مردها الحاجة والفقر بالدرجة الاولى، إنما كان مردها موقف مبدئي يقوم على الزهد والاقتصاد في طلب المال، لان المال ليس غاية في ذاته كما اكدت تعاليم القرآن الكريم وإنما هو وسيلة للمعيشة ولأعمال البر والاحسان ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتحرير الرقيق .

ان حرص الرسول (ﷺ) على التزام ابنته سبيل التقشف في حياتها والبعد عن مظاهر البذخ وعدم لبس «لباس الجبابرة» إنما كان مصدره الحب العميق لها ورغبته في ان تكون حياتها وسيرتها امتداداً

لحياته وسيرته . وقد كان الرسول (ﷺ) شديد الحب والتعلق بـابنته السيدة فاطمة (رض) . لذا فإنه لم يستطع ان يراها بعيدة عن بيته بعد زواجها فطلب منها ان تنتقل الى بيت بجوار بيته كان لأحد الانصار وقد تنازل له عنه حين علم برغبته في اسكان ابنته فيه . ولم يكن بفصل بين هذه الدار وبيت فاطمة سوى «خوخة» أي باب صغير كالنافذة الكبيرة تكون بين بيتين[٧٠] .

وكان الرسول (ﷺ) شديد الرعاية لابنته فاطمة والتفقد لاحوالها بصورة مستمرة فقد روى أنس بن مالك ان الرسول (ﷺ) «كان يمر بباب فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر ويقول الصلاة يا أهل البيت» . وعن ابي الحمراء قال : «صحبت رسـول الله (ﷺ) تسعة اشهر فكان اذا اصبح اتى على باب علي وفاطمة وهـو يقول يـرحمكم الله . . .»[٧١] . اما في حالات السفر فكانت فاطمة آخر من يودعها عند سفره واول من يزورها عند قدومه من السفر او الغزو . فقد روى ثوبان ان الرسول (ﷺ) كان اذا سافر «آخر عهده إتيان فاطمة، واول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة عليها السلام»[٧٢] . وعن ثعلبة قال : «كان رسول الله (ﷺ) اذا قدم من غزو او سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين تم أتى فاطمة ثم أتىٰ ازواجه»[٧٣] .

وتشير المصادر التاريخية الى ان صلة الرسول (ﷺ) بابنته فاطمة وزوجها علي رضي الله عنهما قد ازدادت رسوخاً وقوة واخذ يحيط بها فيض من العواطف الابوية الدفاقة بعد ولادة الحسن والحسين رضي الله عنهما، وذلك لان الرسول (ﷺ) قـد وجد في ابنـاء ابنته فـاطمة تعويضاً له عن اولاده الذين اختطفتهم يد المنون . ومن ثم فقد كان (ﷺ) يتعامل مع الحسن والحسين رضي الله عنهما وكأنهما إبناه . لذا فقد

روي عنه انه قال : « كل ولد أب عصبتهم لأبيهم ، ما خلا ولد فاطمة ، فإني انا ابوهم وعصبتهم »[٧٤] .

على ضوء ماتقدم ، فقد كان الرسول (ﷺ) يتدخل في تفاصيل حياة اسرة الامام علي (رض) انه قال : « لما ولد الحسين سميته حرباً ، فجاء النبي (ﷺ) فقال : أروني إبني ، ما سميتموه ؟ قلنا : حرباً . قال : بل هو حسن . فلما ولد الحسين ، سميته حرباً ، فجاء النبي (ﷺ) ، قال : أروني إبني ، ماسميتموه ؟ فقلنا سميناه حرباً ، فقال : بل هو حسين ، فلما ولد الثالث سميته حرباً ، فجاء النبي (ﷺ) ، فقال : أروني إبني ، ماسميتموه ؟ فقلنا سميناه حرباً ، فقال : بلى هو محسن . . . »[٧٥] .

وهكذا نجد ان الرسول (ﷺ) يحرص على اختيار اسماء اولاد ابنته بصفتهم ابناءه ويجتهد في انتقاء الاسماء المشتقة من معاني الحسن والجمال لهم خلافاً لرغبة والدهم الذي كان يتطلع الى اختيار اسماء لهم تعبر عن حبه للمنازلة والحرب ، وهو البطل المبرز وفارس الاسلام من غير منازع في سوح الوغى .

وتتواتر الروايات والاخبار في الحديث عن مدى حب الرسول (ﷺ) للحسن والحسين بصورة خاصة وذلك لأن اخاهم محسناً قد توفي منذ صغره . فكان الرسول (ﷺ) يدللهم ويداعبهم ويتلطف معهم . . حتى ان أحدهم قد يعلو بقدمه الصغيرة صدر النبي (ﷺ) والنبي يرقصه ويستأنسه ويداعب صغره بكلمات التحبب . . . « وربما شوهد النبي عليه السلام ساجداً ، وطفل من هؤلاء الاطفال راكب على كتفيه ، فيتأنى في صلاته ويطيل السجدة لكيلا يزحزحه عن مركبه . . بل ربما كان على المنبر ، فيقبل الحسن والحسين يمشيان

ويتعثران ، فيسبقه حنانه اليهما وينزل من المنبر ليحملهما ، وهو يقول : « صدق الله العظيم ! إنما اموالكم واولادتكم فتنة ! » وكان اذا سمع احدهما يبكي نادى فاطمة ، وقال لها : ما بكاء هذا الطفل ؟ . . . الا تعلمين ان بكاءه يؤذيني ؟ »[٧٦] .

ولا شك ان حب الرسول (ﷺ) للحسن والحسين وتعلقه بهما ، ومداعبته لهما ، كان مما يسعد والديهما كثيراً ويبعث في نفسيهما الفرح والنشوة ويخفف عنهما من متاعب الحياة وقسوتها ، ويشدهما الى بعضهما كثيراً من اجل تربية الاولاد والتفكير في المستقبل .

وتشير بعض الاخبار الى ان حياة الامام علي (رض) مع السيدة فاطمة (رض) لم تكن صفواً كلها ، إذ من المعروف عن السيدة فاطمة (رض) انها كانت مرهفة الحس ، ضعيفة البنية . . . وكانت حياة الامام علي حياة جندي بطل ، تقوم على القوة والخشونة والتقشف . . فلا غرابة ان يحصل بين زوجين هذه صفاتهما مايحصل بين معظم الازواج من ساعات خلاف ، وساعات شكية ، فربما شكت فاطمة وربما شكى علي ، وربما أخذت فاطمة على قرينها بعض الشدة وما هي بشدة ، فما كان رجل مثل علي ليعنف على بنت رسول الله وهو يعلم مكانها من قلب رسول الله ، انما هو اعتزاز فاطمة بنفسها وإباؤها ان تهمل حيث كانت ، وإنما هو الحنان الذي تعودته من ابيها فلا تستريح الى ما دونه ، وكل حنان ذلك القلب الكبير فكأنه قسوة او قريب من القسوة عند من يتفقده فلا يجد نظيره في قلب انسان »[٧٧] .

وربما كان اهم ماحفظته لنا المصادر من صور الخلاف بين السيدة فاطمة (رض) والامام علي (رض) ما ذكر حول محاولة الامام علي (رض) الزواج عليها من جويرية بنت هشام بن المغيرة « ابي جهل »

وكانت فتاة مسلمة ، على خلاف والدها . فلما سمعت السيدة فاطمة (رض) بذلك تأثرت كثيراً وذهبت الى النبي (ﷺ) فقالت له : « ان قومك يتحدثون انك لاتغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح إبنة ابي جهل » . . فتأثر الرسول (ﷺ) وقال : « لاتجتمع بنت رسول الله (ﷺ) وبنت عدو الله عند رجل واحد ابداً » فلما سمع الامام علي (رض) بمقولة الرسول (ﷺ) ترك الخطبة ولم يتزوج علي فاطمة (رض) حتى وفاتها[٧٨] .

ويعلق الاستاذ العقاد على هذه المسألة فيقول : « لا نعلم نحن من شرح هذه الخطبة غير ماجاء في رواياتها المختلفة ، ولكننا نعلم ان هذه الفتاه جويرية ـ اسلمت وبايعت النبي (ﷺ) وحفظت عنه ، فلعلها قد خيف عليها الفتنة ان تتزوج بغير كفء من المسلمين ، واهلها هم من هم في المكانة والحسب لايرضيهم من هو دون ابن ابي طالب من ذوي قرابتهم ، او لعلها غضبة من غضبات علي على أنفة من أنفات فاطمة ، او لعلها نازعة من نوازع النفس البشرية لم يكن في الدين ما يأباها ، وإن أباها العرف في حالة المودة والصفاء »[٧٩] .

ولقد مرت هذه الازمة بين الزوجين بسلام . . . وحرص الامام علي (رض) على استرضاء ابنة عمه (رض) ومعاملتها بأفضل ما يعامل زوج زوجته حتى توفيت بعد وفاة ابيها بفترة وجيزة وتركت له من البنين حبيبي رسول الله (ﷺ) الحسن ، والحسين ، ومن البنات زينب وام كلثوم .

جهاده في المرحلة المدنية :ـ

لقد سلك الرسول (ﷺ) طريق الحكمة والموعظة الحسنة في نشر الدعوة الاسلامية خلال المرحلة المكية كما اوضحنا آنفاً الا ان

اصحاب الثروة والسلطان من رجال الملأ رفضوا مواجهة الحجة بالحجة وفضلوا اللجوء الى القوة لمنع الرسول (ﷺ) واصحابه من نشر دعوتهم ، مما اضطرهم الى الهجرة عن ديارهم الى المدينة المنورة طلباً للحماية والامن . الا ان رجال الملأ المكي لم يكتفوا بذلك بل واصلوا سياستهم في معارضة الدعوة واضطهاد اصحابها ، فقد منعوا المسلمين المستضعفين من الهجرة الى المدينة كما صادروا اموال التي بقيت في مكة .

فكان من الطبيعي بعد ان استقر الرسول (ﷺ) في المدينة واطمأن الى قوة مركزه فيها ، ان يفكر في الرد على عدوان مشركي مكة من خلال التعرض لقوافلهم التي تمر بالقرب من المدينة متجهة الى الشام كي يحملهم على مراجعة انفسهم والتخلي عن محاربة الدعوة .

وقد جائت آيات القرآن الكريم مشجعة للرسول (ﷺ) على محاربة المشركين ومدافعة عن موقفه في هذا المجال من خلال قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور »[٨٠] .

لقد شكلت هذه الايات القاعدة الفكرية التي يستند اليها المسلمون في جهادهم للمشركين . فهم يجاهدونهم لرد العدوان اولا ، وهم يجاهدونهم من أجل ضمان حرية العقيدة ثانيا ، واخيراً هم

يجاهدونهم من اجل التمكين للدعوة الاسلامية ومثلها في الارض .

ان حرب المسلمين للمشركين والتي سيكون الامام علي بن ابي طالب (رض) من بين فرسانها الرئيسيين، لم تكن حرباً هدفها التغلب والاستعلاء على الناس في الارض، ولم يكن هدفها الحصول على الغنائم والاموال من الاعداء المغلوبين بالدرجة الاساس، وانما هي حرب عادلة هدفها الدفاع عن النفس والمبادىء والقيم العليا ـ لذا فقد اسميت جهاداً ولم تسمَّ حرباً وقتالاً ، كما عد رجالها مجاهدين وفرساناً ولم يعدوا مقاتلين او جبابرة .

ومن هنا تبرز عظمة الرجال ـ وعلى رأسهم الامام علي (رض) ـ الذين وضعوا قوتهم وأرواحهم من اجل خدمة القضية تحت قيادة الرسول (ﷺ) . لقد حولت القضية الاسلامية القدرة القتالية في نفوس هؤلاء الرجال الى بطولة تتداخل فيها صورة «البطل» و«الرجل» و«المسلم» . فاذا رأينا الامام علي (رض) «يبارز خصماً مثلاً، فليس البطل المتمكن هو وحده الذي يبارز . . . بل ان رجولة الرجل، وورع المسلم هما اللذان يرسمان للبطل اسلوب المبارزة وآدابها»[٨١] .

لقد بدأ النشاط الحربي للمسلمين ضد المشركين في نهاية السنة الاولى للهجرة كما يذكر ابن اسحاق والطبري[٨٢] ، وقد اتخذ شكل حملات تعرضية ضد القوافل التجارية لأهل مكة من أجل فرض نوع من الضغط الاقتصادي على قادة مكة لحملهم على تعديل موقفهم من المسلمين . غير ان زعماء مكة عدوا ذلك تحدياً لهم ومن ثم فقد اتجهوانحو تصعيد الموقف الاشتباك مع المسلمين في حروب متصلة استمرت حوالي السبع سنوات، أي حتىٰ تم للمسلمين فتح مكة في

السنة الثامنة للهجرة .

وقد ساهم الامام علي بن ابي طالب (رض) في جميع حروب المسلمين ضد مشركي مكة كما ساهم في جميع المعارك ضد اليهود وغيرهم من القوى المعادية عدا حملة تبوك التي طلب فيها الرسول (ﷺ) منه ان يبقىٰ في المدينة الى جوار اهله لرعايتهم والقيام على شؤونهم . وقد اكد ذلك ابن سعد بقوله : «ولم يتخلف عن رسول الله (ﷺ) في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، خلفه في اهله»[٨٣] .

أ ـ دوره في معركة بدر :

من المعروف ان معركة بدر التي وقعت في أواخر السنة الثانية للهجرة على رأس تسعة عشر شهراً من وصول الرسول (ﷺ) الى المدينة، كانت اول وأخطر معركة وقعت بين المسلمين ومشركي مكة . وقد كان الرسول (ﷺ) يدرك قبل وقوع المعركة ان هذه المعركة ستكون من الوقائع الفاصلة في تاريخ الاسلام . فإما ان ينتصر المسلمون فيها فتترسخ قواعد الاسلام في شبه جزيرة العرب ويواصل انتشاره بين الناس، وإما ان يخسر المسلمون المعركة فيسود الشرك وتخفت شعلة الايمان التي أخذت تشع بين الناس لذا فقد كان الرسول (ﷺ) يبتهل الى الله بحرارة قبيل المعركة بقوله : «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد»[٨٤] .

وعلى الرغم من ان المشركين كانوا يتفوقون على المسلمين في العدد، اذ بلغ عددهم ثلاثة اضعاف المسلمين كما تفوقوا على المسلمين في العدة، الا ان المسلمين تمكنوا من دحرهم وتحقيق انتصار باهر على قواتهم بفضل عظمة قيادة الرسول (ﷺ) وتفاني اصحابه في القتال،

وعدالة القضية التي يقاتلون من أجلها .

وقد كان للامام على (رض) دوره الواضح في هذه المعركة، حيث استطاع ان يجندل العديد من رؤوس الشرك وابطال المشركين في أرض المعركة ويساعد على تحقيق النصر المؤزر للمسلمين .

وقد بدأت مساهمة الامام علي (رض) في معركة بدر منذ البداية، اذ اختاره الرسول (ﷺ) للقيام بدورية استطلاع للتعرف على اخبار المشركين. فقد ذكر ابن اسحاق ان الرسول (ﷺ) «بعث علي بن ابي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن ابي وقاص في نفر من اصحابه الى ماء بدر، يلتمسون الخبر له»(٨٥).

ومن الواضح ان مثل هذه المهمة تتطلب ممن يقومون بها ان يتحلوا بالشجاعة والحذر إضافة الى النباهة والذكاء . لذا فقد عهد الرسول (ﷺ) بها الى ثلاثة من ألمع اصحابه .

وحين اصطف المسلمون للقتال عهد الرسول (ﷺ) باللواء الى مصعب ابن عمير، وكان لونه أبيض . كما سلم راية المهاجرين الى الامام علي (رض) وكان لونها أسود وتدعى العقاب . اما راية الانصار فقد اعطيت الى سعد بن معاذ وكانت سوداء اللون ايضاً(٨٦) .

وقبل بدء المعركة، برز من صفوف المشركين ثلاثة من ابرز فرسان اهل مكة وهم عتبة بن ربيعة، واخوه شيبة بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، طالبين المبارزة . فخرج اليهم ثلاثة فتية من الأنصار «فقالوا: من انتم ؟ فقالوا: رهط من الانصار، قالوا: مالنا بكم من حاجة. ثم نادى مناديهم، يامحمد، أخرج الينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله (ﷺ) : قم ياعبيدة بن الحارث، وقم ياحمزة، وقم ياعلي، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من انتم ؟ قال عبيدة: عبيدة، وقال

حمزة : حمزة، وقال علي: علي؛ قالوا نعم، اكفاء كرام . فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي، فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما اثبت صاحبه؛ وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فدفقا عليه ـ أي اسرعا قتله ـ، واحتملا صاحبهما فحازاه الى اصحابه[٨٧]» .

ثم دارت بعد ذلك معركة شديدة تداخلت فيها الصفوف وحمي فيها الوطيس بين المقاتلين من كلا الطرفين، حتى انجلا غبارها عن هزيمة بينة للمشركين سقط فيها من رجالهم حوالي السبعين قتيلاً واسر منهم مثل هذا العدد أيضاً . اما عدد قتلىٰ المسلمين فلم يزد عن اربعة عشر قتيلاً[٨٨] .

وقد اشارت المصادر التاريخية الى ان عدد من قتل من المشركين على يد الامام علي (رض) او الذين شارك في قتلهم مع غيرهم كان اثنين وعشرين قتيلاً . أي حوالي ثلث قتلىٰ المشركين. علماً بان عدد المسلمين الذين ساهموا في القتال في معركة بدر كان ثلاثمائة وأربعة عشر مقاتلاً حسبما يذكر ابن اسحاق[٨٩] . ويعلق احد الباحثين على عدد من ساهم الامام علي (رض) بقتلهم بقوله : «واذا كان لنا ان نشك في هذا العدد، وان ننزل به الى النصف او الربع، فإنه يبقى بعد ذلك مايقيم لنا وجهاً للقول بأن علياً كان بطل هذه المعركة وفارسها. وحين نتفرس في وجوه القتلى الذين أضيفوا الى علي كرم الله وجهه، نرى انهم كانوا وجوه قريش، واهل العزة والقوة فيها، كما انهم كانوا رؤوساً في الكفر، والمحادة لله ورسوله، وانه قل ان يكون بيت من بيوت قريش لم ينله سيف علي في تلك المعركة»[٩٠].

ب - دوره في معركة أحد : -

في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة، جهـزت قريش حملة عسكرية مؤلفة من حوالي ثلاثة آلاف مقاتل من اجل محاربة المسلمين في المدينة والثأر للهزيمة المنكرة التي لحقت بها في معركة بدر .

وقد خرج الرسول (ﷺ) على رأس جيش من المسلمين لايزيد عدد افراده عن سبعمائة مقاتل لملاقاتهم عند جبل أحـد القريب من المدينة بعد ان انسحب المنافقون ومن تبعهم من جيشه وكان عددهم بحدود الثلاثمائة رجل .

وكانت خطة الرسول (ﷺ) ان يقاتل المشركين وظهره الى جبل أحـد حيث وضع سـرية مؤلفـة من خمسين مقـاتلاً كي يحمـوا ظهور المسلمين ويمنعوا قوات العدو من تطويقهم[٩١] .

وعلى الرغم من ان نتيجة هذه المعركة لم تكن في صالح المسلمين بسبب مخالفة سرية الحماية لاوامر الرسـول (ﷺ) ونزولهـا عن الجبل للمشاركة في القتال والحصول على الغنائم إلا انها لم تكن نصراً حاسماً للمشركين بسبب إستبسال المسلمين في القتال ودفاعهم البـطولي عن حياة الرسول (ﷺ) الذي سقط جريحاً في هذه المعركة . وبذلك انتهت هذه المعركة بدون ان تحقق قريش اهدافها المركـزية في القضـاء على الرسول (ﷺ) ودعوته وان كانت قد افلحت في الثأر للهزيمة التي لحقت بها في معركة بدر[٩٢] .

وقد كان للامام علي بن ابي طالب (رض) دور كبير في هذه المعركة في جميع مراحلها حيث توجه الى ساحة المعركة معلمٌ الرأس بصـوفة بيضاء، وهو عاقد العزم على الحاق افدح الخسائر بالمشركين . فقد اورد

الواقدي ان «اربعة من اصحاب النبي (ﷺ) يعّلمون في الزحوف، احدهم ابو دجانة، كان يعصب رأسه بعصابة حمراء، وكان قومه يعلمون انه اذا اعتصب بها احسن القتال، وكان علي عليه السلام يعلم بصوفة بيضاء، وكان الزبير يعلم بعصابة صفراء، وكان حمزة يعلم بريش نعامة[٩٣] » .

وفي بداية المعركة، تقدم طلحة بن ابي طلحة، وكان يحمل لواء المشركين في القتال، بطلب المبارزة قائلاً: «من يبارز ؟ فقال علي عليه السلام : هل لك في البراز ؟ قال طلحة : نعم . فبرزا بين الصفين، ورسول الله (ﷺ) جالس تحت الراية عليه درعان ومغفر وبيضة، فالتقيا فبدره علي بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته حتى انتهى الى لحيته ، فوقع، وانصرف علي عليه السلام، فقيل لعلي: الا دففت عليه ؟ قال: انه لما صرع استقبلتني عورته فعطفني عليه الرحم. وقد علمت ان الله تبارك وتعالى سيقتله ـ هو كبش الكتيبة[٩٤] » .

وهكذا نلاحظ ان الامام علي (رض) وهو في أوج المعركة لاينسى قيم الرجولة والفروسية التي نشأ عليها فيمتنع عن الاجهاز على خصمه بعد ان اصبح في وضع يدعو الى العطف والرثاء فينصرف عنه متعففاً عن قتله .

لقد كان المشركون يدركون منذ البداية خطورة الامام علي (رض) في القتال وحسن بلائه . لذا فقد ركزوا جهدهم على محاولة قتله مع عمه الحمزة الا انهم لم يفلحوا في هذا المجال . فقد اورد الواقدي في سياق حديثه عن قتل وحشى لحمزة (رض) : ان وحشي كان «عبداً لابنة الحارث بن عامر بن نوفل ـ ويقال كان لجبير ابن مطعم ـ فقالت ابنة الحارث : ان ابي قتل يوم بدر ، فإن انت قتلت احد ثلاثة فأنت حر ،

ان قتلت محمداً ، او حمزة ابن عبد المطلب ، او علي بن ابي طالب ، فأني لا ارى في القوم كفؤاً لابي غيرهم . قال وحشي : ام رسول الله فقد علمت اني لااقدر عليه ، وان اصحابه لن يسلموه ، واما حمزة فقلت : والله لو وجدته نائماً ايقظته من هيبته ، واما علي فقد كنت التمسه . قال : بينما انا في الناس التمس علياً الى ان طلع علي ، فطلع رجل حذر قريش ، كثير الالتفات ، فقلت ماهذا بصاحبي الذي التمس ! اذ رأيت حمزة يفري الناس فرياً ، فكنت الى حمزة . . . . فهذرت مرتبي حتى رضيت منها ، ثم اطلقتها فأصابته»[٩٦].

وحين انقلب الموقف ، ودارت رص المعركة على المسلمين وسقط رسول الله (ﷺ) جريحاً ، واستشهد امامه مصعب ابن عمير وكان حاملاً لواء المعركة ، اعطى الرسول (ﷺ) اللواء الى علي بن ابي طالب (رض) فقاتل قتالاً شديداً دفاعاً عن الرسول (ﷺ) وحولة قلة من المؤمنين الاشداء حتى استطاعوا « شق طريقهم عبر صفوف قريش الى رابية مشرقة من روابي جبل احد ، وتركت هذه الاستماتة اثرها في قريش فتوقف زخم الهوم قليلاً »[٩٧] مما اتاح للمسلمين فرصة رص صفوفهم وتجميعها ومواصلة القتال حتى انتهاء المعركة بصورة لائقة .

لقد كان من المحتمل ان يتحول انكسار المسلمين في المعركة الى هزيمة خطيرة يقضي فيها على الرسول (ﷺ) وكبار اصحابه بكل ما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة على مستقبل الدعوة الاسلامية لولا ثبات الرسول (ﷺ) وصمود كبار الصحابة حوله وعلى رأسهم الامام علي بن ابي طالب (رض) وقد عبر الرسول (ﷺ) عن شعوره بخطورة الموقف بعد انتهاء معركة احد حينما قال لعلي (رض) :

« لايصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا »[٩٨] ، ثم ناول سيفه الى ابنته فاطمة (رض) التي خرجت بصحبة الجيش مع مجموعة من نساء المسلمين للمساعدة وتضميد المصابين ـ قال : « اغسلي عن هذا دمه يا بنية ، فو الله لقد صدقني اليوم وناولها علي بن ابي طالب سيفه ، فقال : وهذا ايضاً ، فأغسلي عنه دمه ، فو الله لقد صدقني اليـوم ؛ فقال رسول الله (ﷺ) : لئن كنت صدقت القتال ، لقد صدق معك سهل بن ضيف وابو دجانة . قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله (ﷺ) : ذو الفقار . قال ابن هشام : وحدثني بعض اهل العلم ، ان ابن نجيح قال : نادي منا ويوم احد : لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي »[٩٩] .

وهكذا قدر للامام علي (رض) ان يلعب دوراً حاسماً في معركة احد ، وان يبز في شجاعته وصموده غيره من الفرسان ويكون جديراً بصفة فتى الفتيان في الاسلام .

جـ ـ دوره في غزوة الخندق :

شجع النجاح النسبي الذي احرزه مشركو مكة ضد المسلمين في معركة احد ، زعماء المشركين على إعداد حملة اخرى ضد دولة المدينة تستهدف القضاء المبرم على المسلمين فيها . كما دفعت الاحقاد يهود بني النضير ويهود خيبر الى التعاون مع قريش من اجل تكوين حلف يضم كافة القبائل المعادية لدولة المدينة لتنظيم تلك الحملة .

وتشير المصادر التاريخية الى ان هذا المسعى قد حقق اهدافه في السنة الخامسة للهجرة ، حيث تـوجه جيش مؤلف من عشـرة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان لمهاجمة المدينة وكان مقاتلو الجيش مؤلفين من

ابناء قبيلة قريش وسُليم وغطفان[١٠٠] .

وحين بلغت انباء هذا التحرك الرسول (ﷺ) ، استشار اصحابه فيما يفعل ، ثم استقر الرأي على ان يتحصن المسلمون في المدينة للدفاع عنها على ان يقوموا بحفر خندق عميق يحيط بشمال المدينة ويقع بين حدة المدينة ـ وهي ارض سبخة ـ وجبل سلع كي يمنعوا المشركين من اختراق دفاعات المدينة[١٠١] .

وقد فاجأت هذه الخطة الدفاعية قوات المشركين واوقفت تقدمهم وراء الخندق في ظروف جوية غير ملائمة . ولم يبق امامهم سوى فرض الحصار على المدينة ، ومحاولة العثور عى ثغرة في التحصينات كي ينفذوا منها لمهاجمة المدينة ، وهذا ما حاول ان يفعله بعض فرسان المشركين . . وهذا المسعى بالذات هو الذي عمل الامام علي بن ابي طالب (رض) على احباطه بصورة باهرة . فقد روى ابن اسحاق ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن وهب وضرار بن الخطاب ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . . . ثم يتيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن ابي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم . وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراح ، فلم يشهد احد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليُرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله ، قال من يبارز ؟ فبرز له علي بن ابي طالب فقال له : ياعمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله الا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين

الا اخذتها منه ، قال له : إجل ، قال له علي : فإني ادعوك الى الله والى رسوله ، والى الاسلام ، قال : لاحاجة لي بذلك قال : فإني ادعوك الى النزال ، فقال له : لم يا أبن اخي ؟ فو الله ما أحب ان اقتلك ، قال له علي : لكني والله احب ان اقتلك ، فحمي عمر وعند ذلك ، فا قتحم عن فرسه مغقره ، وضرب وجهه ، ثم اقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي رضي الله عنه ، وخرجت خيلهم مهتزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة »[١٠٢] .

وقد ذكر الواقدي ان المسلمين تخوفوا من مبارزة عمرو بن ود حين طلب المبارزة « لمكان عمرو وشجاعته » ، الا ان الامام علياً (رض) تقدم الى الرسول (ﷺ) ثلاث مرات قائلاً : أنا ابارزه يا رسول الله « فأعطاه رسول الله (ﷺ) سيفه وعممه وقال : اللهم اعنه عليه »[١٠٣] .

ولا تشير المصادر التاريخية الى اية واقعة حربية ذات شأن في غزو. الخندق غير هذه الواقعة التي كان بطلها المبرز علي بن ابي طالب (رض) وبذلك يكون الامام علي (رض) هو بطل هذه الغزوة من غير منازع في ميدان القتال .

وان مما يلفت النظر في موقف الامام علي (رض) وهو يتصدى لمبارزة عمرو بن ود موقفه المبدئي ، وحرصه على هدايته الى الاسلام قبل قتاله ، مما يؤكد ما ذهبنا اليه من ان الامام علي لم يكن يقاتل كرجل وبطل فحسب ، وانما كان يقاتل بصفته صاحب عقيدة وقضية قد كرس حياته وجهده من اجلها .

ولم تقتصر مساهمة الامام علي (رض) في معركة الخندق على هذا الموقف البطولي في ساحة المعركة ، بل لقد كان له شرف المشاركة الى

جانب الرسول (ﷺ) وبقية الصحابة في حفر الخدق كما تحمل مع بقية المسلمين السهر والارهاق في حراسة المدينة طوال ايام الحصار التي استمرت حوالي الشهر[١٠٤] مع ما كان يرافق ذلك من جوع وتعب حتى قدر لسياسة الرسول (ﷺ) ان تنجح في بث التفرقة بين صفوف المشركين ، وايقاع الخلاف بينهم وبين يهود بني قريظة .

ومن اجل تصور مقدار معاناة الرسول (ﷺ) وصحبه في غزوة الخندق يكفي ان نقرأ مثل هذا الخبر . فقد روي عن الامام علي (رض) انه قال : « كنا مع النبي في حفر الخدق اذ جاءته فاطمة بكسرة من خبز فرفعتها إليه ، فقال : ما هذه يافاطمة ؟ قالت : من قرص إختبزته لابني جئتك منه بهذه الكسرة . فقال : يابنية ، أما إنها لاول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاث »[١٠٥] . كما صور القرآن الكريم صمود المسلمين ومعاناتهم خلال هذه الغزوة أبلغ تصوير في العديد من الآيات نحو قوله : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون با لله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً »[١٠٦] .

لقد بلغت محنة المسلمين في غزوة الاحزاب اقصى مداها كما استنفد المشركون في هذه الحملة اقصى طاقاتهم . . فلما فشلوا في تحقيق اهدافهم . . . كان من الطبيعي ان يعد الرسول (ﷺ) هذا الفشل نقطة تحول في مسار الصراع بين الاسلام والشرك ، بحيث يتجه المسلمون بعد هذا التاريخ الى الهجوم بدلاً من الالتزام بسياسة الدفاع ، فقال : « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم »[١٠٧] .

د ـ دوره في معارك خيبر : ـ

اظهرت غزوة الاحزاب ان القوة التي عملت على تخريب الاحزاب وتوحيد القوى المعادية للاسلام في شبه جزيرة العرب كانت تتألف من يهود خيبر وحلفائهم من يهود بني النضير . لذا قرر الرسول (ﷺ) مهادنة قبيلة قريش من اجل تركيز جهوده على تصفية القوة العسكرية والسياسية ليهود خيبر .

وتشير المصادر التاريخية الى ان الرسول (ﷺ) قد توجه الى خيبر في محرم من السنة السابعة للهجرة بعد مضي اقل من شهرين على توقيعه صلح الحديبية مع قبيلة قريش[١٠٨] .

لقد خرج الرسول (ﷺ) من المدينة على رأس جيش مؤلف من الف واربعمائة مقاتل من الرجال الراغبين في الجهاد والمستعدين للتضحية في سبيل الله . لذا فقد روي عن الرسول (ﷺ) انه قال : « لايخرجن معنا الا راغب في الجهاد »[١٠٩]

ويبدو ان الرسول (ﷺ) كان يدرك ان معارك المسلمين ضد يهود خيبر ستكون معارك صعبة وقاسية لان عدد يهود خيبر كان كبيراً حيث قدر الواقدي مقاتليهم بعشرة آلاف مقاتل[١١٠] كما أنهم كانوا يمتلكون حصوناً منيعة ليس من السهل على الجيش المهاجم اختراقها ، لذا فقد حرص الرسول (ﷺ) على مباغتة خيبر بالهجوم من خلال تضليلهم عن هدفه الحقيقي عند خروج جيشه من المدينة[١١١] .

ويقدم لنا الواقدي في كتابه المغازي معلومات مفصلة ومثيرة عن المعارك الحربية التي خاضها المسلمون امام حصون خيبر المنيعة حتى تمكنوا من احتلالها الواحد تلو الآخر وعلى مدى شهر كامل من القتال

المرير[112] .

ولا تقدم لنا المصادر التاريخية معلومات مفصلة عن دور الامام علي بن ابي طالب (رض) في جميع المعارك التي دارت حول حصون خيبر غير ان ابن هشام يذكر ان الرسول (ﷺ) كان قد دفع راية الجيش الى « علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء »[113] مما يدل على اهمية دوره في هذه المعركة ، حيث ان الرسول (ﷺ) لم يكن يسلم راية المعركة إلا للأبطال المتميزين في القتال .

وقد ذكر ان سبب تسليم راية المعركة الى الامام علي بن بي طالب (رض) هو ان الرسول (ﷺ) حين وجد ان الموقف العسكري للمسلمين قد اصبح صعباً وان عدة كتائب من المسلمين قد عجزت عن فتح حصن ناعم ، قال : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بغرّار . . . . »[114] فلما اصبح دفع الراية الى الامام علي بن ابي طالب (رض) « ودعا له ومن معه من اصحابه بالنصر ، فكان اول من خرج اليهم ، الحارث أخو مرحب في عاديته (اي رجاله) فآنكشف المسلمون . وثبت علي عليه السلام فآضطربا باضربات فقتله علي عليه السلام ، ورجع اصحاب الحارث الى الحصن فدخلوه وأغلقوا عليهم . فرجع المسلمون الى موضعهم ، وخرج مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

أضرب احياناً وحيناً أُضرب

فحمل علي عليه السلام فقطَّره على الباب ، وفتح الباب . . . . »[115] .

وقد اورد الواقدي وصفاً لقتال الامام علي بن ابي طالب (رض) عند باب الحصن فأورد عن أبي رافع قوله : « كنا مع علي عليه السلام حين بعثه النبي (ﷺ) بالراية ، فلقي علي عليه السلام رجلاً على باب الحصن ، فضرب علياً وآتقاه بالتُرس علي ، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن »[116] .

وهكذا قدر للامام علي بن ابي طالب (رض) ان يحقق نبوءة الرسول (ﷺ) فيفتح الله الحصن على يديه ويعود الى الرسول (ﷺ) منتصراً ليضيف صفحة جديدة مشرقة الى صفحات جهاده العظيم من اجل نصرة الاسلام وتثبيت دعائمه على الارض .

هـ ـ دوره في فتح مكة :

كان اهل مكة يتلهفون لسماع انباء قتال الرسول (ﷺ) ليهود خيبر ، وكأنهم على يقين بأن نتيجة ذلك القتال ستحدد المصير الذي ينتظرهم[117] ، وخاصة اذا خرجوا على بنود صلح الحديبية .

وعلى الرغم مما تقدم فإن فقدان اهل مكة للقيادة الموحدة القادرة على ضبط حركة المجتمع ، ربما جعلتهم يتورطون في مساندة قبيلة بكر المتحالفة معهم في قتالها ضد قبيلة خزاعة التي كانت حليفة للرسول (ﷺ) وقد عدت هذه المساندة بمثابة خروج على مبادىء صلح الحديبية ، واعلان حرب على المسلمين . لذا فقد قرر الرسول (ﷺ) الرد على عدوان قريش ، وتجهيز حملة كبيرة لفتح مكة وتحريرها من تسلط رجال الملأ الذين كانوا يحولون بين الناس وبين الاستجابة لرسالة الاسلام التي تدعو الى التوحيد والوحدة[118] .

وقد حاول زعماء مكة اصلاح الخطأ الذي وقعوا فيه ، فأوفدوا ابا سفيان الى المدينة لتجديد العهد مع الرسول (ﷺ) وتوثيقه . الا ان هـذه الخطوة جـاءت بعد فـوات الاوان إذ كان الـرسول(ﷺ) قـد استجاب لنداء الاستغاثة الذي وجهته اليه قبيلة خزاعة ، وبدأ العدة بصورة سرية للتوجه الى مكة[119] .

وربما من المفيد ان نورد بعض ما اوردته المصادر عن جهود أبي سفيان في المدينة من اجل الاعتذار واصلاح الخطأ وموقف الامام علي بن ابي طالب (رض) وغيره من الصحابة من ذلك ، لما فيه من دلالة على شخصية الامام علي (رض) فقد روى ابن اسحاق أن ابا سفيان حين وصل الى المدينة « أتى رسول الله (ﷺ) فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً ، ثم ذهب الى ابي بكر ، فكلمه ان يكلم له رسول الله (ﷺ) ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتىٰ عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أأنا اشفع لكم الى رسول الله (ﷺ) ؟ فو الله لو لم اجد الا الذرَّ لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ورضي عنها ، وعندها حسن بن علي ، غلام يدب بين يديها ، فقال : يا علي ، انك امس القوم بي رحماً ، وإني قد جئت في حاجة ، فلا ارجعن كما جئت خائباً ، فآشفع لي الى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله (ﷺ) على أمر ما تستطيع ان نكلمه فيه . فآلتفت الى فاطمة فقال : يا آبنة محمد ، هل لك ان تأمري بُنيَّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بني ذاك ان يجير بين الناس ، وما يجير احد على رسول الله (ﷺ) . قال : يا ابا الحسن ، إني أرى الامور اشتدت علي ، فـآنصحني ، قال والله مـا اعلم لك شيئـاً يغني عنك

شيئاً ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم إلحق بأرضك ؛ قال : او ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ، ما أظنه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك ، فقام ابو سفيان في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إني قد اجرت بين الناس ، ثم ركب بعيره فأنطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فو الله مارد علي شيئاً ، ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته ادنى العدو (او اعدى العدو كما يقول ابن هشام) ثم جئت علي فوجدته الين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فو الله ما ادري هل يغني ذلك شيئاً ام لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني ان اجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل اجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : ويلك ! والله إن زاد الرجل على ان لعب بك ، فما يغني عنك ماقلت . قال : لا والله ، ماوجدت غير ذلك[٢٠٠] .

ان هذا الوصف الحي الذي قدمه لنا ابن اسحاق عن موقف الامام علي بن أبي طالب (رض) من أبي سفيان قائد معسكر الاعداء وهو يطلب المعاونة والمساعدة للخروج من الورطة التي وقعت فيها قبيلة قريش ليدلنا على اكثر من جانب في شخصية الامام علي (رض) فهو لم يتصرف بتعال وقوة كما هو متوقع من مقاتل يقف امام أحد اعدائه الا لداء ، بل تصرف بلطف وكياسة كما يفعل الفارس الكريم لأن ابا سفيان لم يكن واقفاً في ساحة المعركة بل كان يقف في بيته ويطلب مساعدته غير ان هذا اللطف والكياسة لم يدفعه الى الخروج ولو قليلاً على الموقف الذي اتخذه الرسول (ﷺ) فعبر بذلك عن التزام الجندي بموقف قائده وبالشكل المناسب .

وحين طلب ابو سفيان من الامام علي (رض) ان يقترح له حلاً يحفظ ماء وجهه ، قدم له حلاً « دبلوماسياً » لا يترتب عليه اي التزام او مسؤولية ولا يحقق لأبي سفيان اكثر من حفظ ماء الوجه مما يدل على مدى حكمة الامام علي (رض) وحسن تصرفه في المواقف الحساسة.فإذا غادرنا هذا الموقف ، ورحنا نتابع مساهمات الامام علي (رض) في الاستعدادات والاجراءات التي ادت الى فتح مكة فسنجده حاضراً في كل خطوة وموقف اتخذه الرسول (ﷺ) لتحقيق هذا الهدف فحين شرع بتهيئة جيش المسلمين للتحرك الى مكة لفتحها كان حريصاً على ان يحيط ذلك بستار من الكتمان كي لايعطي الفرصة لقريش للاستعداد وللقتال . الا ان حاطب بن ابي بلتعة خالف اوامر الرسول (ﷺ) وأرسل رسالة الى قريش يعلمها بنبأ استعداد المسلمين لقتالها . . فبعث الرسول (ﷺ) الامام علياً بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما فقال : « ادركا إمرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى قريش يحذرهم ماقد جمعنا له في امرهم » فخرجا حتى ادركا الامرأة وأخذا منها الرسالة(١٢١) .

وعندما وصل جيش المسلمين مكة وأخذ في دخولها كان الرسول (ﷺ) حريصاً على عدم سفك الدماء وأعطى اوامر مشددة لجنده بالا يقاتلوا احداً قبل ان يبدأهم بقتال ، الا ان سعد بن عبادة الذي كان على رأس احدى كتائب الجيش اخذته نشوه النصر وأخذ يهزج : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة » فسمع ذلك عمر بن الخطاب فأخبر الرسول (ﷺ) بذلك فقال رسول الله (ﷺ) لعلي بن ابي طالب (رض) « ادركة فخذ الراية منه فكن انت الذي تدخل بها »(١٢٢) . . فنفذ الامام علي (رض) اوامر الرسول (ﷺ) ودخل

مكة خاشعاً شاكراً لله نعمة النصر دون ان يصيبه زهو المقاتل المنتصر .

وبعد ان استتب الامر للرسول (ﷺ) في مكة وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة بعث رسول الله (ﷺ) سرايا الى القبائل التي تقيم حول مكة لدعوتها الى الاسلام « وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره ان يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً فوطىء بني جذيمة ، فأصاب منهم . . . »[١٢٣] فلما بلغ خبر ذلك الى الرسول (ﷺ) تألم كثيراً ورفع يديه الى السماء ثم قال : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد » . ثم دعا رسول الله (ﷺ) علي بن ابي طالب (رض) فقال : « يا علي أخرج الى هؤلاء القوم ، فانظر في امرهم ، وآجعل امر الجاهلية تحت قدميك ، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله (ﷺ) فودى لهم الدماء وما اصيب لهم من الاموال ، حتى إنه ليدي لهم ميلغة الكلب - اي الاناء الذي يشرب فيه الكلب الحساء - حتى اذا لم يبق شيء من دم ولا مال الا وداه ، بقيت معه بقية من مال ، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم او مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإني اعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله (ﷺ) مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل ثم رجع الى رسول الله (ﷺ) فأخبر الخبر فقال : أصبت وأحسنت »[١٢٤] .

وهكذا يبدو الامام علي (رض) رجل المهمات الصعبة التي نتطلب من صاحبها ان يتحلى بالعديد من الصفات العالية كالقوة والشجاعة وحسن التصرف ، ومراعاة قواعد العدالة والانصاف ، وهي صفات كان يتحلى بها الامام علي (رض) فلا غرابة ان عهد له الرسول (ﷺ) بواجبات تتجاوز في حدودها الواجبات القتالية والحربية

التي كان الامام علي (رض) من المبرزين فيها كما عرضنا آنفاً .

٥ ـ مهمات متنوعة :

لقد كانت ادارة الدولة العربية الاسلامية الناشئة تتطلب القيام بالعديد من المهامات والواجبات وكان الرسول (ﷺ) يعهد الى اصحابه المقربين بمهمة اداء هذه الواجبات من غير ان ينشيء مؤسسات ثابتة او وظائف تتطلب من اصحابها التفرغ التام لأدائها ، وذلك لحداثة الدولة وعدم تعقد المهمات الموكلة اليها . وكان الامام علي بن ابي طالب من ابرز اولئك الصحابة الذين كان يعهد اليهم الرسول (ﷺ) القيام ببعض المهمات التي تساعد على خدمة الدولة والمجتمع وندرج فيما يأتي ابرز تلك المهمات التي اشارت اليها المصادر التاريخية المعتمدة من اجل تكوين صورة دقيقة عن شخصية الامام علي (رض) ومدى الخدمات التي قدمها في هذا المجال :

أ ـ الامام علي (رض) كاتباً بين يدي الرسول (ﷺ) :

حين اراد الرسول (ﷺ) ان يكتب شروط الصلح الذي تم بينه وبين قريش عند الحديبية في السنة السادسة للهجرة دعا الامام علي بن ابي طالب (رض) ليقوم بكتابة ما يتم الاتفاق عليه . وحين انتهى من كتابة الاتفاق أشهد مجموعة من الصحابة على ذلك الاتفاق وكان بينهم الامام علي (رض) كاتب الصحيفة[١٢٥] .

وقد اشير بالاضافة الى ما تقدم ، ان الامام علي بن ابي طالب (رض) كان يكتب للرسول (ﷺ) ما يأتي به الوحي من آيات القرآن الكريم الى جانب صحابة آخرين عرفوا بكتّاب الوحي فقد ذكر

الخزاعي ان « عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب (رضي الله تعالى عنهما) كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما »[126] .

وربما دلت هذه الاخبار على ان الامام علياً (رض) كان قد تعلم الكتابة منذ صغره ، اي في بداية المرحلة المكية ، وشرع ومنذ تلك الفترة المبكرة في معاونة الرسول (ﷺ) في مجال كتابة الوحي وغير ذلك من الامور التي يعهد بها اليه .

ان معرفة الامام علي (رض) للقراءة والكتابة منذ صغر سنه قد تفسر لنا سر تفوقه في ميدان الثقافة وما نسب له من اقوال تتسم بالبلاغة والحكمة وفي ذلك يقول الاستاذ العقاد ان الامام علياً (رض) « تعلم الكتابة صغيراً ودرس الكلام البليغ من روايات الالسن وتدوين الاوراق ، آنتظر بالبلاغة حتى خرجت من طور البداهة الاولى الى طور التفنن والتجويد . . . فاستقام له اسلوب مطبوع مصنوع ، هو فيما نرى أول اساليب الانشاء الفني في اللغة العربية ، واول اسلوب ظهرت فيه آثار دراسة القرآن والاستفادة من قدوته وسياقه ، وتأتي له بسليقته الادبية ان يأخذ من فحولة البداوة ومن تهذيب الحضارة ، ومن انماط التفكير الجديد الذي ابدعته المعرفة الدينية والثقافة الاسلامية . . . . »[127] .

ب ـ الامام علي (رض) مبلغاً عن الرسول (ﷺ) :-

قال ابن اسحاق « لما نزلت سورة براءة على رسول الله (ﷺ وقد كان بعث ابا بكر الصديق ليقيم للناس الحج في السنة التاسعة للهجرة قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها الى ابي بكر ، فقال : لا

يؤدي عني إلا رجل من اهل بيتي ، ثم دعا علياً بن ابي طالب (رض) فقال له : أخرج بهذه القصة من صدر براءة ، واذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، انه لايدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان ، ومن كان له عند رسول الله (ﷺ) عهد فهو الى مدته . فخرج علي بن ابي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله (ﷺ) العضباء ، حتى ادرك ابا بكر بالطريق ، فلما رآه ابو بكر بالطريق قال : أمير أم مأمور ، فقال : بلى مأمور ، ثم مضيا ، فأقام ابو بكر للناس الحج ، .... وقام علي بن ابي طالب (رض) فأذن في الناس بالذي امره رسول الله (ﷺ) .... »[١٢٨] .

وقد ذكر ان سبب اختيار الرسول (ﷺ) للامام علي بن ابي طالب (رض) لقراءة سورة براءة في موسم الحج ، أن هذه السورة كانت تتضمن نقض عهود الرسول (ﷺ) مع القبائل العربية المشركة ، وكان من « عادة العرب في نقض العهود ان لايتولى ذلك إلا من عقدها او رجل من قبيلته »[١٢٩] . لذا فقد كلف بأداء هذه المهمة علياً (رض) لانه من اهل بيته « قطعاً لحججهم وإزاحة لعللهم لئلا يحتجوا بعوائدهم »[١٣٠] .

جـ ـ الامام علي (رض) خلفاً للرسول (ﷺ) في رعاية اهله : ـ

اوردت المصادر التاريخية المعتمدة ان الرسول (ﷺ) حين خرج في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة استعمل على المدينة محمد بن مسلمه الانصاري[١٣١] ، وطلب من الامام علي بن ابي طالب (رض) الاقامة في المدينة لرعاية اهله ، غير ان المنافقين ارجفوا واخذوا يقولون « ما خلفه الا استثقالاً له ، وتخففاً منه ، فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ

علي بن ابي طالب رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله (ﷺ) وهو نازل بالجرف ، فقال : يانبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني ، انك استثقلتني وتخففت مني ، فقال : كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فأرجع فأخلفني في اهلي واهلك ، أفلا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا انه لانبي بعدي ، فرجع علي الى المدينة ، ومضى رسول الله (ﷺ) على سفره »[١٣٢] .

ويبدو مما تقدم ان الامام علياً (رض) لم يكن يشك في مكانته من رسول الله (ﷺ) العظيمة به ، الا ان الذي آلمه وأثر في نفسه ، وهو الفارس المغوار الذي لم يتخلف عن اية غزوة من غزوات الرسول (ﷺ) طعنُ المنافقين به وقولهم ان الرسول (ﷺ) قد تركه مع الخالفة من النساء والصبيان وفي ذلك تعريض بشجاعته . لذا فقد قال للرسول (ﷺ) حسبما يذكر ابن سعد : « اتخلفني في الخالفة ، في النساء والصبيان ؟ » غير ان الرسول (ﷺ) بادر الى تذكيره بمنزلته الكبيرة عنده عندما قال : «أما ترضىٰ ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » فرجع الامام علي (رض) حين سمع ذلك الى المدينة مسرعاً[١٣٣] .

د ـ الامام علي (رض) في اليمن لجباية الصدقات والقضاء بين الناس :ـ

ذكر ابن اسحاق ان الرسول (ﷺ) « بعث علي بن ابي طالب (رض) الى اهل نجران ـ في اليمن ـ ليجمع صدقتهم ، ويقوم عليه بجريتهم »[١٣٤] وربما كان ذلك ي اواخر السنة التاسعة للهجرة ، بدليل ان الامام علياً عاد من هذه المهمة عاد الى مكة في موسم الحج .

وإن مما له دلالة كبيرة على شخصية الامام علي (رض) وطريقته في الادارة وعدم محاباته لأحد في الحق ما اورده ابن اسحاق عن المشكلة التي حصلت بينه وبين جنده الذين كانوا معه في اليمن . فقد ذكر ابن اسحاق انه « لما اقبل علي (رض) من اليمن ليلقى الرسول(ﷺ) بمكة ، تعجل الى رسول الله (ﷺ) واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من اصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حُلة من البز الذي كان مع علي (رض) ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ، قال : ويلك ! ماهذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، قال : ويلك ! انزع قبل ان تنتهي به الى رسول الله (ﷺ) قال : فأنتزع الحلل من الناس ، فردها في البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم . . . قال ابن اسحاق ، عن ابي سعيد الخدري قال : اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه ، فقام رسول الله (ﷺ) فينا خطيباً ، فسمعته يقول : ايها الناس ، لاتشكوا علياً فو الله إنه لاخشن في ذات الله او في سبيل الله من ان يشكى »[١٣٥] .

ويبدو ان مهمة الامام علي بن ابي طالب (رض) في اليمن لم تكن مقصورة على جمع الزكاة والجزية من الناس فقط ، وإنما كان من واجبه ان يحسم المنازعات بين الناس ويقضي بينهم . فقد روى ابو داؤد عن علي (رض) انه قال : « بعثني رسول الله (ﷺ) الى اليمن قاضياً وانا حديث السن ولا علم لي بالقضاء ، فقال : ان الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول ، فإنه احرى ن يتبين لك القضاء . قال : فما زلت قاضياً او ما شككت في قضاء بعد »[١٣٦] .

وهكـذا نلاحظ كيف ان الامام علي بن ابي طالب (رض) قد نشأ وتربى في مدرسة النبوة واخذ يمارس شتى انواع المسؤولية فهو الداعية الصابر الذي يتحمل صنوف المضايقة والاذى من اجل دعوته في المرحلة المكية ، وهو المجاهد الذي يخوض المعارك الدامية بسيفه دفـاعاً عن الدعوة لاعلاء كلمة الله في الارض ، وهو رجل الدولة الذي يتحمل المسؤوليات التي يكلفه بها الرسول (ﷺ) من اجل التمكين لدعـوة الاسلام في الارض وتحقيق اهدافه العليا في نشر عقيدة التوحيد بـين الناس وتحقيق وحدة الامة على الارض .

وقد بقي الامام علي (رض) طوال حياة الرسول (ﷺ) فتى الاسلام وفارسه الذي يسمو في حياته الى مستوى العقيدة التي آمن بها واخلص لها حتى استحق شهادة الرسول (ﷺ) حين قال : لاتشكوا علياً فو الله انه لاخشن في ذات الله من ان يُشكىٰ . .

هكـذا كـان عـلي (رض) في حيـاة الرسـول (ﷺ) فكيف سـارت حيـاتـه بعـد وفاته ؟ . . . . .

الفصل الثالث

الامام علي بن ابي طالب « رض »
والخلفاء

١ ـ وفاة الرسول (ﷺ) ونظام الخلافة :ـ

في خضم مشاعر الحزن والاضطراب التي اجتاحت نفوس المؤمنين من ابناء الامة لدى سماعهم نبأ وفاة الرسول (ﷺ) لم يغب عن اذهان الصحابة من المهاجرين والانصار ان البنيان الذي اقامه الرسول (ﷺ) ينبغي ان يبقى ويستمر ، وان الامة او الدولة التي اسسها بعد جهاد قاسٍ وطويل لابد من المحافظة عليها وتدعيمها[١٣٧] . ومن ثم فقد بادروا للعمل على اختيار من يخلف الرسول (ﷺ) لقيادتهم وادارة شؤون الامة الناشئة . . ولكن ، هل كان بين المسلمين من يشابه الرسول (ﷺ) في صفاته ومؤهلاته الدينية والمدنية كي يحل محله في قيادة الامة وتوجيهها ؟ . . . لقد نفى القرآن الكريم بصورة قاطعة ان يكون بين المسلمين من يحمل صفات الرسول (ﷺ) الدينية بقوله . . « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[١٣٨] ، وبذلك اغلق الطريق نهائياً امام اية محاولة لاقامة سلطة سياسية بعد وفاة الرسول (ﷺ) استناداً الى حق النبوة لذا فقد اتجه المسلمون نحو اختيار من تتوفر لديه المؤهلات المدنية المناسبة لادارة شؤونهم وفقاً للأسس التي جاء بها القرآن الكريم واوضح ابعادها الرسول (ﷺ) في افعاله واقواله .

ولما كان لابد للمسلمين وهم يسعون لاختيار من يخلف الرسول (ﷺ) في ادارة شؤونهم من الالتزام بمبدأ الشورى الذي أمر القرآن الكريم بوجوب العمل به ، ومراعاة الاعراف والتقاليد التي يسير عليها مجتمعهم بهذا الخصوص[١٣٩] ، وهكذا فقد عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة حضره عدد من كبار الانصار والمهاجرين للتشاور في اختيار من

يتولى ادارة امور الامة بعد وفاة الرسول (ﷺ) وبعد مناقشات مطولة اوردت تفاصيلها مختلف المصادر التاريخية تمت البيعة بالخلافة لأبي بكر الصديق (رض) بسبب كبر سنه وسابقته في الاسلام وعظيم بلائه في خدمة الدعوة بالاضافة الى كونه من قوم رسول الله (ﷺ) (قريش)[١٤٠] .

وقد اوضح ابو بكر الصديق في الخطبة التي القاها بعد توليه الخلافة انه مدين بمنصبه لارادة الامة التي عهدت اليه بهذه المسؤولية ، فإن احسن فإن على افراد الامة معاونته ، وان اساء فإن عليهم تقويمه : « ايها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن احسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني » . . . . كما تعهد في خطبته بالتزام الامانة والصدق في عمله والسعي للمحافظة على النظام وإقامة العدل في المجتمع طبقاً لاوامر الله ورسوله[١٤١] .

٢ ـ علاقة الامام علي (رض) بالخليفة ابي بكر الصديق :

اشارت بعض المصادر التاريخية الى ان الامام علي بن ابي طالب (رض) تأخر بعض الوقت في مبايعة ابي بكر الصديق (رض) لانه لم يكن حاضراً اجتماع السقيفة بسبب انشغاله بتهيئة الامور الخاصة باعداد جنازة الرسول (ﷺ) ودفنه[١٤٢] كما اشير الى اسباب اخرى منها شعوره بأنه احق بتولي الخلافة من ابي بكر (رض) بسبب قرابته من رسول الله (ﷺ) وسابقته في الاسلام غير ان ذلك لم يمنع الامام علياً (رض) من مبايعة الخليفة ابي بكر الصديق (رض) حينما وجد ان الناس قد بايعوه ودخلوا في طاعته لانه كان يعتقد ان اختيار الخليفة او الامام هو من حقوق الامة ممثلة بالمهاجرين والانصار وانه ليس من حق

احد ان يخرج على ما تفقوا عليه في هذا المجال يقول الامام علي (رض) في الدفاع عن بيعته بالخلافة في وجه معارضيه كما جاء في نهج البلاغة : « انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان وعلى ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد . وانما الشورى للمهاجرين والانصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاً فإن خرج من امرهم خارج بطعن او بدعةٍ ردوه الى ماخرج منه ، فإن ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين »[١٤٣] .

ولم يكتف الامام علي (رض) بمبايعة ابي بكر الصديق (رض) ، بل تعاون معه وأيده في سياسته الرامية الى محاسبة المرتدين والدفاع عن وحدة الامة الاسلامية في وجه المخاطر التي اخذت تهددها . فقد اورد ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ان الامام علي ابن ابي طالب (رض) شارك في الدفاع عن المدينة في وجه هجمات المرتدين « فخرج علي عليه السلام بنفسه ، وكان على نقب من انقاب المدينة ، وخرج الزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم فكانوا على الانقاب الثلاثة ، فلم يلبثوا الا قليلاً حتى طرق القوم المدينة غارة مع الليل ، وخلفوا بعضهم بذي حُسىً ليكونوا رداءاً لهم ، فوافوا الانقاب وعليها المسلمون ، فأرسلوا الى ابي بكر بالخبر ، فأرسل اليهم ان الزموا مكانكم ، ففعلوا . . . »[١٤٤] .

لقد اوضح الامام علي (رض) في نهج البلاغة ان الدفاع عن الاسلام ووحدة الامة هي اهم واكبر عنده من منصب الخلافة او اية ولاية اخرى : « فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد (ﷺ) وآله ، فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلماً او هدماً ، فتكون المصيبة به علي

اعظم من فوت ولا يتكم ، والتي إنما هي متاع ايام قلائل يزول منها ماكان كما يزول السراب ، وكما ينقشع السحاب فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واطمأن الدين وتنهنه »[١٤٥] .

وهكذا تبرز عظمة الامام علي (رض) ومبدئيته العالية في ساعات الخطر والشدة ، ويظهر مقدار زهده في الخلافة التي بالغ بعض الكتّاب في تصوير حرص الامام علي (رض) على طلبها والتطلع للوصول اليها ، بينما هي في نظره لاتعدو ان تكون من متاع الحياة الدنيا الذي يزول كما يزول السراب .

وتشير الاخبار الى ان الامام علي (رض) كان موافقاً ومؤيداً لسياسة ابي بكر الصديق في مجال الفتوحات وحروب التحرير ، لذا فقد كان يعاونه ويشير عليه فيما يعتقد انه النافع والصواب . فقد ذكر اليعقوبي انا ابا بكر الصديق (رض) شاور جماعة من اصحاب رسول الله (ﷺ) حينما اراد محاربة الروم ، فقدموا وأخروا ، فآستشاروا علي بن ابي طالب (رض) ، فأشار أن يفعل ، فقال : ان فعلت ظفرت فقال بشرت بخير . فقام ابو بكر في الناس خطيباً وأمرهم ان يتجهزوا الى الروم[١٤٦] .

وربما كان من نافلة القول ان نستنتج مما تقدم ان العلاقة بين الامام علي بن ابي طالب (رض) وابي بكر الصديق كانت تتجاوز مجرد التعاون والتناصح لتصل الى الحب العميق والاخوة الخالصة بحكم رابطة الايمان والجهاد المشترك التي ربطت بينهما فلا غرابة ان يشعر الامام علي بن ابي طالب بالحزن العميق لدى سماعه نبأ وفاة ابي بكر الصديق (رض) ، وان يقول في رثائه هذه الكلمات التي تعبر عن اعمق مشاعر الحب والاعجاب تجاهه :

« رحمك الله ابا بكر ، كنت والله اول القوم اسلاماً ، وأخلصهم ايماناً ، وأشدهم يقيناً ، صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين تعدوا . كنت والله للاسلام حصناً ، وللكافرين ناكباً ، لم تهن حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك ، كنت والله كما قال الرسول فيك ؛ ضعيفاً في بدنك ، قوياً في دينك ، متواضعاً في نفسك ، فلا حرمنا الله اجرك ، ولا اضلنا بعدك »[١٤٧]

وربما جاءت تسمية علي بن ابي طالب (رض) لأحد ابنائه بأسم « أبي بكر » بعد وفاته نوعاً من الاحياء لذكراه وتعبيراً عن مدى حبه واعتزازه به . فقد ذكر ابن سعد انه كان للامام علي بن ابي طالب (رض) ولد من زوجته ليلى بنت مسعود بن خالد ، اسمه « ابو بكر » وانه قد استشهد الى جانب اخيه الحسين رضي الله عنهما في كربلاء[١٤٨] .

٣ ـ علاقة الامام علي (رض) بعمر بن الخطاب (رض) :-

تقبل الامام علي (رض) عهد ابي بكر الصديق (رض) بمنصب الخلافة الى عمر بن الخطاب (رض) بالرضا والقبول ، وبادر الى مبايعته كما بايعه عامة الصحابة من المهاجرين والانصار ، ولم ينقل عنه اي تردد او تلكؤ في هذا المجال . . وقد روي عن الامام علي (رض) انه قال ان ابا بكر الصديق (رض) حين توفي « تولاها عمر ، فأخذها بسنة صاحبه وما يعرف من امره فبايعنا عمر ، ولم يختلف عليه منا إثنان . . . »[١٤٩] .

وتشير المصادر التاريخية الى ان عمر بن الخطاب (رض) كان

يعرف للامام علياً بن ابي طالب (رض) قيمته ويقدر له منزلته الرفيعه بين المسلمين لذا فقد قدم الامام علي وبقية آل بيت النبي (ﷺ) وآل بيت ابي بكر (رض) فقد ذكر انه حين اراد تنظيم الديوان قال : « اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدأ ببني هاشم ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر اليه عمر قال : وددت والله انه هكذا ، ولكن ابدأوا بقرابة النبي (ﷺ) فالاقرب فالاقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله[١٥٠] .

وحين اراد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) تقدير مقدار العطاء الذي يعطى لكل فرد من المسلمين رفض مبدأ التسوية بينهم في هذا المجال ، وقال « لا أجعل من قاتل رسول الله (ﷺ) كمن قاتل معه . فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين والانصار ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة . . . وفرض لأبناء البدريين الفين الفين الا حسناً وحسيناً فإنه الحقهما بفريضة ابيهما لقرابتهما برسول الله (ﷺ) ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم . . . . »[١٥١] .

وفي المقابل تشير الروايات التاريخية الى ان الامام علياً (رض) كان يعرف للخليفة عمر (رض) مكانته ، ويقدر خطورة المسؤوليات التي يضطلع بها لذا كان حريصاً على معاونته وتقديم المشورة له في شتى المجالات . كما كان حريصاً على المحافظة على سلامته من كيد الاعداء فقد جاء في نهج البلاغة ان الامام علي بن ابي طالب (رض) اشار على الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حين استشاره في الشخوص لقتال الفرس بنفسه فقال : « والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً ، فهم كثيرون بالاسلام ، عزيزون بالاجتماع ، فكن قطباً وأستدر الرحى بالعرب ؛ وأصلهم دونك نار الحرب ، فإنك شخصت من هذه الارض ،

إنفضت عليك العرب من اطرافها واقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما بين يديك . ان الاعاجم ان ينظروا اليك غداً يقولوا : هذا أصل العرب ؛ فإذا اقطعتموه استرحتم ، فيكون ذلك اشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك »[١٥٢] .

ان التأمل في هذه النصيحة يوصلنا الى ان الامام علياً (رض) كان يدرك جيداً ان عمر بن الخطاب (رض) بصفته خليفة للمسلمين «ليس كواحد من الناس ، بل انه قطب ، وعليه يدور رحى الحرب ، فلولا القطب ليس للرحى ان تدور » كما انه كان على يقين بأن الفرس لايشكون بان الخليفة عمر (رض) هو القائد الاعلى للعرب ، وانهم سوف يجتهدون للقضاء عليه من اجل القضاء على العرب جميعاً »[١٥٣] . لذا فقد اجتهد الامام علي (رض) في بيان المخاطر التي تهدد وحدة الامة ومستقبلها في حالة شخوص الخليفة عمر (رض) الى جبهات الحرب لمقاتلة الفرس حتى تمكن من اقناعه للعمل برأيه .

ولم تقتصر مشاورة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) للامام علي بن ابي طالب (رض) على النواحي العسكرية والسياسية بل تعدتها الى النواحي المالية . وكانت ابرز القضايا التي استشار فيها الامام علي (رض) مسألة الاراضي المحررة في العراق وكيف يتم التصرف فيها ، هل توزع على المقاتلة ام تبقى بيد اصحابها للعمل بها وزراعتها على ان يقوموا مقابل ذلك بدفع الخراج عنها الى بيت المال . فأشار عليه بقوله : « إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ، ولكن تقرها في ايديهم يعملونها فتكون لنا ولمن بعدنا فقال : وفقك الله ، هذا الرأي »[١٥٤] .

ان موقف الامام علي (رض) في هذه المسألة ذو دلالة كبيرة على موقفه الاجتماعي وتوجهاته العميقة نحو اقرار العدالة في توزيع

الثروات ومنع حصرها في ايد قليلة تستغلها لمصالحها الخاصة وضد مصلحة المجموع . كما ان قبول الخليفة عمر بن ابي طالب (رض) في هذا المجال وعمله به دليل على مقدار التوافق في التوجهات الاقتصادية والاجتماعية بينهما وحرصهما على اقرار العدل ومنع الاستغلال في المجتمع .

ان ماتقدم يفسر لنا سر حرص الامام علي بن ابي طالب (رض) على المحافظة على الاجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) حينما تولى الخلافة ورفضه نقضها ، حتى الاجراءات التي وصلته شكاوى حولها . فقد ذكر ابو يوسف في كتاب الخراج ان اسقف نجران اتى الامام علي بن ابي طالب (رض) راجياً اعادتهم الى ديارهم بعد ان اجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) عنها « فأبى علي (رض) ان يردهم وقال : ويحك ان عمر كان رشيد الامر . قال (رض) اجلاهم لانه خافهم على المسلمين وقد كانوا اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم ، فأجلاهم عن نجران اليمن واسكنهم نجران العراق »[١٥٥] .

ان قول الامام علي (رض) ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كان رشيد الامر ، وانه لن يغير شيئاً صنعه » كما يذكر ابن الجوزي[١٥٦] يعتبر شهادة ذات اهمية كبيرة في توضيح رأي الامام علي (رض) في الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وحكمه لأنها جاءت بعد وفاته وفي اثناء تولي الامام علي (رض) لمنصب الخلافة .

وان مما هو جدير بالملاحظة ان الروايات التاريخية تشير الى ان ثقة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في الامام علي (رض) لم تكن بأقل من ثقه الامام علي في الخليفة عمر رضي الله عنهما . فقد روي عن عمر

بن الخطاب انه قال : « علي اقضانا »[157] وانه كان « يتعوذ من معضلة ليس لها ابو حسن »[158] . بل ان هنالك رواية عن ابي سعيد الخدري انه سمع عمر يقول لعلي وقد سأله عن شيء فأجابه « اعوذ بالله ان اعيش في يوم لست فيه يا أبا الحسن »[159] .

وقد رويت عدة اخبار عن احكام قضائية أصدرها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فلما اعترض عليها الامام علي بن ابي طالب (رض) وبين وجه اعتراضه للخليفة عمر (رض) أقره على اعتراضه وأوقف تنفيذ الحكم[160] .

ولم تقف العلاقات بين الامام علي بن ابي طالب (رض) والخليفة عمر بن الخطاب عند حدود العلاقات الرسمية ، بل تعدتها الى العلاقات العائلية فقد وافق الامام علي (رض) على تزويجه ابنته ام كلثوم بنت فاطمة ، مما يدل على مقدار الثقة والمحبة المتبادلة بينهما . روى الطبري ان عمر بن الخطاب (رض) : «تزوج ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب (رض) وأمها فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ، وأصدقها - فيما قيل - أربعين ألفاً ، فولدت له زيداً ورقية[161] » . كما ان الامام علي بن ابي طالب (رض) قد سمىٰ احد اولاده باسم «عمر» وهو عمر الاكبر وامه «الصهباء» وهي ام حبيب بنت ربيعة[162]» .

ان ماتقدم يشير الى مدى عمق العلاقات وتشابكها بين الامام علي والخليفة عمر رضي الله عنهما ومقدار ماكانا عليه من تعاون وتساند من اجل خدمة المسلمين والصالح العام .

وقد كان المرء يتوقع من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ان يعهد بالخلافة قبل وفاته الى الامام علي بن ابي طالب (رض) كما عهد له ابو بكر الصديق بمنصب الخلافة من قبل . غير ان عمر بن الخطاب

(رض) لم يفعل ذلك وفضل ان يعهد لستة من كبار الصحابة بأن يختاروا من بينهم الخليفة، وكان من بينهم الامام علي بن ابي طالب (رض) . ويبدو ان عمر بن الخطاب (رض) كان يتمنى لو اتفق اهل الشورى على مبايعة الامام علي بن ابي طالب ليتولى الخلافة من بعده لأنه «كان يرى ان علياً اشبه الناس به في شدته في الحق واذعانه للحق، وغلظته على الذين ينكرون الحق او يضيقون به[١٦٣] » . ولكنه لم ير ان يتجاوز اهل الشورى لانهم كما قال عمر بن الخطاب (رض) مخاطباً لهم : «إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الامر الا فيكم . وقد قبض رسول الله (ﷺ) وهو عنكم راضٍ[١٦٤]» .

ويظهر مما اورده ابن سعد، ان الامام علي بن ابي طالب (رض) لم يتأثر من موقف الخليفة عمر (رض) من مسألة الخلافة، ولم يجد في نفسه عليه شيئاً بدليل انه «دخل على عمر وقد مات وسجي بثوب فقال : يرحمك الله، فو الله ماكان في الارض رجل احب اليّ ان القى الله بصحيفته من صحبفتك[١٦٥]» . فهل بعد هذا الحب من محبه ؟ . . . وهل بعد هذه الثقة العظيمة من ثقة اعظم منها . . . ان عظمة الامام علي (رض) تبدو في اسمىٰ صورها وهو يقف مثل هذه المواقف التي تتسامىٰ عن المصالح الدنيوية الزائلة وتتمسك بالقيم والمثل العليا .

٤ ـ علاقة الامام علي (رض) بعثمان بن عفان (رض) :ـ

تشير المصادر التاريخية الى ان اهل الشورى وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهم قد اجتمعوا بعد وفاة عمر بن الخطاب (رض) ـ عدا طلحة بن عبيد الله الذي كان في

سفر، للتداول فيمن يتولى الخلافة منهم. وبعد حوار طويل عهدوا الى عبدالرحمن بن عوف (رض) الذي اخرج نفسه من الترشيح للخلافة ليتولى اختيار احدهم لمنصب الخلافة. وقد قام عبدالرحمن بن عوف (رض) باستطلاع آراء اهل الشورى في الخلافة فرأى انهم يميلون الى توليتها لأحد اثنين: علي بن ابي طالب (رض) او عثمان بن عفان (رض) مع وجود ميل لدى اغلبهم لاختيار عثمان (رض) ربما لكبر سنه وسماحته واتساع نفوذ عائلته في المجتمع[١٦٦]. ثم انطلق عبدالرحمن بن عوف (رض) بعد ذلك لمشاورة عامة الناس فلقي «اصحاب رسول الله (ﷺ)، ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم، ولا يخلو برجل الا أمره بعثمان[١٦٧]».

لقد توصل عبدالرحمن بن عوف (رض) من خلال مشاوراته التي استمرت ثلاثة ايام الى ان الرأي العام يميل الى اختيار عثمان بن عفان (رض) لمنصب الخلافة، إلا ان ذلك لم يقنعه باتخاذ قرار قبل الدخول في حوار مباشر مع علي بن ابي طالب (رض) وعثمان بن عفان (رض) حول السياسة التي يزمعان السير عليها لتولي احدهما الخلافة. ولدى اجتماعه بهما قال: «إني قد سألت عنكما وعن غيركما فلم أجد الناس يعدلون بكما؛ هل انت ياعلي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل ابي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن علي جهدي من ذلك وطاقتي، فالتفت الى عثمان، فقال: هل انت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل ابي بكر وعمر؟ قال اللهم نعم[١٦٨]». فاشار اليهما ان يتبعاه الى المسجد لاعلان ماتوصل اليه بشأن من يختاره لتولي الخلافة.

وحين اجتمع الناس في المسجد اعلن عبدالرحمن بن عوف (رض) مبايعته لعثمان بن عفان (رض) بالخلافة وطلب من الناس

مبايعته فبايعه جميع من حضر المسجد وكان منهم الامـام علي بن ابي طالب (رض) حتى لقد ذكر ان الامام علياً (رض) كان ثاني من بايعه بعد عبدالرحمن بن عوف[١٦٩] .

ويبدو ان عبدالرحمن بن عوف (رض) كان يتطلع ان يلتزم من يتولى الخلافة بسياسة الخلفاء السابقين إضافة الى مراعاة القواعد التي جاء بها القرآن الكريم وسار عليها الرسول (ﷺ) بصورة دقيقة ومن غير اللجوء الى اعمـال الرأي والاجتهـاد فلما وجد ان الامـام علياً (رض) لايوافق على هذه السياسة وانه يطلب لنفسه الحق في الاجتهاد لمواجهة الاحداث والمسائل المستجدة في الـدولة والمجتمـع، مال الى مبايعة عثمان (رض) الذي اعلن التزامه الكامل بسياسة من سبقه من الخلفاء[١٧٥] .

ولكن هل كان بإمكان الخليفة عثمان بن عفان (رض) ان يفي بالوعد الذي قطعه على نفسه، وإن حرص على ذلك ؟ . . . . وهل ان طبيعة التحولات الدائمة في حياة الدولـة والمجتمع كـانت تسمع لـه بالتزام سياسة ثابتة لاتتغير ؟ . . . لقد اثبتت الاحـداث التي وقعت خلال خلافة عثمان (رض) استحالة التزام مثل هذه السياسة . لقد كان من المفروض في الخليفة عثمان بن عفان (رض) ان يواجه الموقف بنفس الصراحة التي واجهه به الامام علي بن ابي طالب (رض) حينما عرضت عليه الخلافة وان يعلن بصراحة، الحاجة الشديدة الى الاجتهاد والتجديد لمواجهة التحولات الكبرى التي كان يمر بها المجتمع والدولة العربية الاسلامية في ذلك الوقت . . . فلما أغفل هذه الناحية او لم ينتبه اليها، وحاول ان يسير على سيرة سلفه عمر بن الخطاب (رض) مع اختلاف شخصيته عن شخصية عمر (رض)، واختـلاف الظروف

والاحوال التي واجهته عن الظروف والاحوال التي كانت قائمة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . تفجرت المشاكل في وجهه ووجد نفسه في خاتمة المطاف أمام خيارين، احلاهما مر؛ فإما ان يحول الخلافة الى دولة تحكم الناس وفقاً لسياسة توازن بين بعض اشكال التحولات الجديدة وبين اسس الخلافة مع ملاحظة ان هذه التحولات كانت اكبر من ان يحتملها هذا التوازن، وإما ان يواصل سياسة الرسول (ﷺ) وخليفتيه ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، القائمة على ادارة المجتمع والدولة بصورة طوعية، وفقاً لمبادىء المساواة والشورى والعدل بين الناس، وهي سياسة لم يعد بإمكان الخليفة الثالث ممارستها بصورة دقيقة بعد ان تغيرت اوضاع الناس وأخلاقهم نتيجة للتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التي مرت على الدولة والمجتمع[١٧١] .

لقد كانت الدولة العربية الاسلامية بحاجة الى قيادة عبقرية تستلهم روح التجربة الاسلامية العظيمة لتقدم حلولاً ملائمة للاوضاع الجديدة التي أخذ يحيا في اطارها المجتمع العربي الاسلامي الجديد . ولم يكن في قدرة الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، وهو قد جاوز الثمانين من العمر مع ما يتصف به من لين وسماحة في التعامل، ان يقدم مثل هذه الحلول . . . فذهب نتيجة لذلك شهيداً . . . وآنفتحت بأستشهاده الفتنة العمياء التي أمضىٰ الامام علي بن ابي طالب (رض) فترة حكمه في مصارعتها ومحاولة العمل على ازالة آثارها .

لقد كان المسلمون وعلى رأسهم الامام علي بن ابي طالب (رض) يقدرون للخليفة عثمان بن عفان (رض) قدره ومكانته حين تولى الخلافة، فهم جميعاً كانوا يدركون ان نسبه كان يلتقي بنسب رسول

الله (ﷺ) من جهة أبيه وامه، فهو من جهة أبيه ابن عم الرسول (ﷺ) لالتقاء نسبه مع بني عبد المطلب في عبد مناف، وهو ابن عمة رسول الله (ﷺ) لان امه أروى بنت كريز؛ هي ابنة البيضاء بنت عبدالمطلب[١٧٢] . كما كانوا يذكرون له سبق اسلامه، وهجرته من أجل عقيدته الى الحبشة مرتين ثم هجرته بعد ذلك الى المدينة، وبقاءه الى جوار رسول الله (ﷺ) بصفته زوج ابنتين من بناته؛ وهي رقية ثم ام كلثوم رضي الله عنهما[١٧٣] .

وقد كان الخليفة عثمان (رض)، بالاضافة لكل ماتقدم معروفاً بغناه وبذله المال في سبيل الاسلام، وكان من أشهر اعماله في هذا المجال تجهيزه جيش العسرة الذي قاده الرسول (ﷺ) نحو تبوك فقد «قيل إنه حمل المسلمين على ما آحتاجوا ان يحملوا عليه من الابل والخيل، وقيل إنه أقبل بألف دينار فوضعها في حجر النبي واستعان النبي بها على تجهيز الجيش، ودعا لعثمان ان يغفر له الله ماتقدم من ذنبه وما تأخر ووعده بالجنة[١٧٤]» .

وربما كان أبرز مايميز شخصية الخليفة عثمان (رض) سماحة خلقه وبره بإقربائه وبالناس إضافة الى حيائه الشديد، ولابد ان هذه الصفات قد تركت اثرها على سياسته، وهو يتصدى للاضطلاع بمسؤوليات الخلافة . فقد اورد ابن سعد رواية عن الزهري أنه قال: «لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميراً يعمل ست سنين لاينتقم الناس عليه شيئاً، وإنه لأحب الى قريش من عمر بن الخطاب، لأن عمر كان شديداً عليهم، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثم توانىٰ في أمرهم، واستعمل اقرباءه وأهل بيته في الست الاواخر، وكتب لمروان بخمس مصر، واعطىٰ أقرباءه المال، وتأول في ذلك الصلة التي

أمر الله بها . . . فأنكر الناس عليه ذلك[١٧٥]» .

ولقد كان الامام علي بن ابي طالب (رض) طوال حكم الخليفة عثمان بن عفان (رض) متعاوناً معه ، ناصحاً له ، راجياً له الخير لنفسه ومن اجل صالح المسلمين . ويكفي ان نقرأ كلام الامام علي (رض) الذي وجهه الى الخليفة عثمان (رض) حينما رجاه الناس ان يكلمه إبان الفتنة لنعرف مدى التقدير والاحترام الذي كان يكنه الامام علي (رض) للخليفة عثمان بن عفان (رض) . يقول الامام علي (رض) في نهج البلاغة مخاطباً الخليفة «إن الناس ورائي قد استسفروني بينك وبينهم ، والله ما ادري ما اقول لك . ما اعرف شيئاً تجهله ، ولا ادلك على امر لاتعرفه ، إنك لتعلم مانعلم ، ماسبقناك الى شيء فنخبرك عنه ، ولا خلونا بشيء فنبلغكه ، وقدرأيت كما رأينا ، وسمعت كما سمعنا ، وصحبت رسول الله (ﷺ) كما صحبنا ، وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب اولى بعمل الحق منك ، وانت اقرب الى رسول الله (ﷺ) وشيجة رحم منهما ، وقد نلت من صهره مالم ينالا ، فألله الله في نفسك ، فإنك ماتبصر من عمى ، ولاتعلم من جهل[١٧٦]» .

وحين اشتدت الفتنة على الخليفة عثمان (رض) «قام علي بنفسه بالدفاع عنه مراراً ، وطرد الناس عنه ، ولكن عثمان منعه ورجاه ان يلزم بيته . ثم انفذ اليه ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وابن اخيه « عبدالله بن جعفر » للدفاع عنه[١٧٧] . غير ان الخليفة عثمان (رض) لم يكن يريد لهذه الفتنة ان تتحول الى حرب اهلية بين المسلمين . لذا فقد بذل جهده في محاولة اقناع الخارجين عليه بالرجوع عما يعتزمون الاقدام عليه ، فلما وجدهم مصرين على استخدام العنف ضده لم يسمح للمسلمين بأن يدافعوا عنه بأستخدام السلاح وفضل ان يجود بروحه اذا

اقتضى الامر على ان يكون سبباً في قتال المسلمين لبعضهم. لقد حاول الخليفة عثمان (رض) ان يبصر الخارجين عليه بعواقب اقدامهم على قتله بقوله: «ياقوم، لاتقتلوني فإني وال، واخ مسلم، فوالله ما اردت الا الاصلاح ما استطعت، اصبت او أخطأت، وانكم ان تقتلوني لاتصلوا جميعاً أبداً، ولاتغزوا جميعاً ابداً، ولايقسم فيئكم بينكم[١٧٨]».

لقد كان حرياً بالخارجين على الخليفة عثمان (رض) ان يتأثروا بكلماته الصادقة الحكيمة، وان يقبلوا منه عروض السلام كل المشاكل القائمة حرصاً على وحدة الامة ومستقبلها، ولكنهم أبوا الاّ الاستجابة لنداء الغضب فسفكوا دم خليفة المسلمين عثمان بن عفان (رض) «في يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين» للهجرة، وكان عمر الخليفة المقتول آنذاك اثنين وثمانين سنة[١٧٩].

الفصل الرابع

الامام علي بن ابي طالب أمير المؤمنين



١ ـ بيعته بالخلافة : ـ

بقيت المدينة بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رض) عدة ايام تعيش في جو يسوده الحزن والفوضى، وليس للمسلمين خليفة يحكمهم، فقد روى الطبري ان المدينة بقيت «خمسة ايام وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه، يأتي ـ الخارجون على عثمان (رض) من المصريين ـ علياً فيختبىء منهم، ويلوذ بحيطان المدينة، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم، ومن مقابلتهم مرة بعد مرة[١٨٠] . فلما كان يوم الخميس على رأس خمسة أيام من مقتل عثمان (رض) ، جمعوا أهل المدينة وقالوا لهم، أنتم اهل الشورى، وأنتم تعقدون الامامة، وامركم عابر على الامة، فأنظروا رجلًا تنصبونه، ونحن لكم تبع فقال الجمهور علي بن ابي طالب، نحن به راضون[١٨١]» . فقالوا: «دونكم يا اهل المدينة، فقد أجلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غداً علياً وطلحة والزبير وأناساً كثيراً، فغشي الناس علياً، فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالاسلام، وما ابتلينا به . . . فقال علي: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون امراً له وجوه وله الوان لاتقوم له القلوب، ولا تثبت له العقول، فقالوا ننشدك الله، الا ترى مانرى ؟ الا ترى الاسلام ؟ الا ترى الفتنة ؟ الا تخاف الله ؟! فقال : قد اجبتكم لما أرى، واعلموا ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وان تركتموني فإنما كأحدكم، الا أني اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم، ثم افترقوا على ذلك، واتعدوا على الغد[١٨٢]» حيث تمت البيعة لعلي بن ابي طالب في المسجد[١٨٣] .

وقد اورد الطبري رواية اخرى تقول ان اصحاب رسول الله

(ﷺ) اتوا علياً في منزله فقالوا: «هذا الرجل قد قتل، ولابد للناس من إمام، ولا نجد اليوم احداً احق بهذا الامر منك، لا اقدم سابقة، ولا اقرب من رسول الله (ﷺ)، فقال: لا تفعلوا فإني اكون وزيراً خيراً من ان اكون اميراً، فقالوا لاوالله مانحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإن بيعتي لاتكون خفياً، ولاتكون الا عن رضى المسلمين[١٨٤]». وقد اوحت هذه الرواية على مايبدو لبعض الباحثين ان البيعة للامام علي (رض) كانت في نفس اليوم الذي قتل فيه الخليفة عثمان (رض)[١٨٥]. ولكن هذا الاستنتاج الضمني من الرواية تدفعه الرواية الصريحة التي ذكرها الطبري والتي تؤكد ان البيعة للامام علي (رض) لم تتم الا بعد بضعة ايام من مقتل الخليفة عثمان (رض) كما قدمنا .

وهكذا انتخب الامام علي بن ابي طالب (رض) لمنصب الخلافة واصبح أميراً للمؤمنين في سنة ٣٦ للهجرة، وكان عمره آنذاك قد ناهز الستين، على افتراض صحة الاخبار التي ذكرت ان عمره كان عند اسلامه بحدود العشر سنوات .

غير ان الامر الجدير بالملاحظة ان الامام علي بن ابي طالب (رض) لم يتسلم الخلافة في ظروف هادئة مواتية كما تسلمها من سبقه من الخلفاء، بل انه تسلمها في ظروف عصيبة للغاية، حيث ان استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رض) بالصورة التي اوضحناها كان حادثاً حاسماً لايكاد يدانيه في خطره آخر في التاريخ الاسلامي، فمنذ ذلك الحين صار للسيف القول الفصل في امر رئاسة الدولة العربية الاسلامية، وفتح باب الفتنة ولم ينسد. بعد ذلك انسداداً تاماً ابداً[١٨٦] .

وقد اصاب الخليفة عثمان بن عفان (رض) حين حذر الخارجين عليه

بالعواقب الوخيمة التي ستترتب على قتلهم له بقوله: «انكم ان تقتلوني لاتصلوا جميعاً ابداً، ولا تغزوا جميعاً ابداً، ولا يقسم فيئكم بينكم[١٨٧]».

لقد حاول الامام علي (رض) بعد توليه الخلافة مباشرة تطبيق المبادىء والمثل التي نشأ عليها واعتقد جازماً بجدوى الاخذ بها من اجل اصلاح احوال المسلمين . وقد كان الامام علي (رض) صريحاً في الاعلان عن اعتقاده هذا حين عرض عليه عبدالرحمن بن عوف (رض) الخلافة بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب (رض). كما كان واضحاً وصريحاً في اعلان تمسكه بهذا النهج حين عرض عليه الناس الخلافة بعد مقتل عثمان (رض) حين قال لهم: «واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم، وان تركتموني فإنما انا كأحدكم، الا اني اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم[١٨٨]» .

وهكذا فقد حرص الامام علي بن ابي طالب (رض) على ان لايتولى منصب الخلافة الا عن طريق البيعة وهي الصيغة القانونية والسياسية المعتمدة لتداول السلطة النابعة عن مبدأ الشورى في الدولة العربية الاسلامية . وقد كان هذا المبدأ في تداول السلطة اهم مايميز نظام الحكم الاسلامي او الخلافة عن انظمة الحكم الملكية القائمة في ذلك الوقت والتي كانت تعرف عند العرب بالقيصرية والكسروية .

بعد ان تولى الامام علي (رض) الخلافة عن طريق الشورى ورضا اغلبية افراد الامة بحكمه، شرع في تطبيق المبادىء والمثل التي تساعد على معالجة الازمة التي احاطت بالدولة نتيجة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت على توسع رقعة الدولة العربية الاسلامية .

٢ ـ استبدال الولاة والعمال السابقين :

وجد الاما علي (رض) ان من الضروري استبدال الولاة والعمال السابقين في الردلة بولاة جدد ؛ يؤمنون بنفس المنطلقات والمبادىء التي يحملها ويكنون له الولاء والاخلاص ، اذ لم يكن في امكانه تحقيق اهدافه في الاصلاح بالاعتماد على الولادة والعمال السابقين خاصة وان سيرتهم في ادارة الاقاليم التي كانوا يحكمونها كانت موضع نقد شديد من قبل الناس .

ومن ثم كان من اولى الخطوات التي قام الامام علي (رض) بتنفيذها بعد تسلمه الخلافة هي عزل الولادة القدامى وتعيين ولادة جدد ليحلوا محلهم . فقد ذكر الطبري انه لما دخلت سنة **٣٦** للهجره قام الامام علي (رض) بتفريق عماله علي امصار الدولة : « فبعث عثمان بن حنيف على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة . . . . وعبيدالله ابن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام »[١٩٩] .

وقد لوحظ ان ثلاثة من هؤلاء الولاة كانوا من الانصار ، وهم عثمان بن حنيف ، وهو من كبار الانصار ، وسهل بن حنيف وهو الذي عقد الرسول (ﷺ) بينه وبين الامام علي (رض) حلف المؤاخاة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وكان ابوه من اكبر زعماء الانصار . « وهذا يدل على انه اراد ان يرضي الانصار بهذا الاختيار »[٢٠٠] إضافةالى انه يدل على مدى ثقته بهم واعتماده على تأييدهم ونصرتهم .

وعلى الرغم من ان خطوة تعيين الولادة الجدد قد اصطدمت ببعض العقبات الكبيرة وخاصة في الشام ، حيث رفض معاوية بن ابي

سفيان التخلي عن الولاية واتجه نحو مقاومة الخليفة علي ابن ابي طالب (رض) لاسباب اوضحتها كتب التاريخ ومصادره باسهاب شديد[191] . الا ان الامام علياً (رض) واصل تنفيذ سياسته في ادارة الدولة العربية الاسلامية ، واخذ يوجه ولاته على الامصار بصورة تعبر عبر عن المبادىء والمثل التي اراد لها ان تتجسد على ارض الواقع بكل حماسة واخلاص .

وقد جرى الامام علي (رض) على توضيح ابعاد سياسته لمن يوليه الادارة كي يلتزم بتنفيذها بدقة . كما يزوده برساله موجهة الى الناس توضح المبادىء والاسس التي ينبغي عليه الالتزام بها واتباعها في العمل كي يتولى الناس مراقبته ومحاسبته على اساسها . وربما كان في مااورده الطبري من اخبار عن تعيين قيس بن سعد والياً على مصر وتوجيهات الامام علي (رض) له مايساعد على توضيح سياسة الامام في هذا المجال . فقد ذكر الطبري ان الامام علياً (رض) دعا قيس بن سعد الانصاري حين ولاه مصر فقال له : « سر الى مصر فقد وليتكها ، واخرج الى رحلك ، واجمع اليك ثقاتك ومن احببت ان يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك ارعب لعدوك واعز لوليك ، فإذا انت قدمتها ان شاء الله ، فأحسن الى المحسن ، واشتد على المريب ، وارفق بالعامة والخاصة ، فإن الرفق يُمن »[192] . كما زوده برساله موجهة الى اهل مصر يوضح فيها الظروف التي احاطت بتوليه الخلافة ويتعهد فيها بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وتحقيق الصالح العام ثم يبين لهم حقوق واليهم الجديد عليهم وحقوقهم عليه بقوله : « وقد بعثت اليكم قيس بن سعد بن عبادة أميراً ، فوازروه وكانفوه ، واعينوه على الحق ، وقد امرته بالاحسان الى محسنكم ، والشدة على مريبكم ،

والرفق بعوامكم وخواصكم وهو ممن ارضى هديه ، وارجو صلاحه ونصيحته . . . . »[193] .

يتضح مما تقدم ان الامام علياً (رض) ينطلق في سياسته الادارية من جملة مبادىء يمكن اجمالها في النقاط الاتية :

أ ـ مراعاة احكام القرآن والسنة في ادارة البلاد وتحقيق الصالح العام بدقة .

ب ـ الالتزام بتحقيق العدالة بين الناس فلا تحابي القوي على حساب الضعيف فهي تحسن الى المحسن وتشتد على المريب .

ج ـ ان هدف الادارة هو خدمة الناس والرفق بعوامهم وخواصهم من دون تمييز بينهم ولاتعال عليهم او تجبر في حكمهم لان الرفق في التعامل مع الناس يمن وبركه .

د ـ لم يغفل الامام علي (رض) اهمية القوة في حسن الادارة واقامة العدل . لذا فقد اوصى عامله على مصر بإعداد القوة اللازمة لان ذلك كما يقول : « ارعب لعدوك واعز لوليك » .

هـ ـ ان مؤازرة الناس للوالي ومعاونتهم له ينبغي ان تكون في الحق والعدل ، فإن خرج عن جادة الحق والصراب سقط حقه في المساعدة والمؤازرة .

ان المبادىء آنفة الذكر تتردد كثيراً في توجيهات الامام علي (رض) الى عماله ، وبصيغ مختلفة ومؤثرة . ومن جملة هذه التوجيهات التي وردت في نهج البلاغة قوله لاحد عماله : « . . . . فآستعن باالله على ماأهمك ، واخلط الشدة بضغث من اللين ، وارفق ماكان الرفق ارفق ، واعتزم بالشدة حين لايغني عنك الا الشدة ، واخفض للرعية جناحك ، والن لهم جانبك ، وآس بينهم في اللحظة

والنظرة ، والاشارة والتحية ، حتى لايطمع العظماء في حينك ، ولاييأس الضعفاء من عدلك »[١٩٤] .

وتشير العديد من الكتب والرسائل الواردة في نهج البلاغة ان الامام علياً ، (رض) لم يكن يقنع بحسن اختيار ولاته وتوجيههم لضمان حسن ادارتهم واستقامتهم في اداء اعمالهم ، بل كان يعمد الى مراقبتهم وتتبع اخبارهم ، فاذا بلغه عن احدهم انحراف في اداء الواجب او خطأ في السلوك والعمل ، عمد الى محاولة تقويمهم بالنصح والارشاد او بالعزل والابعاد . فقد ورد في نهج البلاغة ان الامام عليا (رض) بلغته شكوى من سكان احد البلدان المحررة عن قسوة واليهم في معاملتهم فكتب اليه يقول : « اما بعد ، فإن دهاقين اهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة ، واحتقاراً وجنوة ونظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا لشركهم ، ولاان يقصوا ويجفوا لعهدهم ، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرقة ، وافرج لهم بين التقريب والادفاء والابعاد والاقصاء »[١٩٥] .

٣ ـ اعادة القطائع الى بيت المال :

وجد الامام علي بن ابي طالب ان بعض اراضي الدولة التي كان عمر بن الخطاب (رض) قد جعلها ملكاً خالصاً لبيت المال قد اقطعت الى بعض الولادة والمتنفذين فقرر رد هذه الاراضي الى ملكية الدولة وحوزة بيت المال ، ورفض ان يعترف او يقر التصرفات العقارية التي حدثت على هذه الاراضي[١٩٦] . لانه كان يعتقد ان تمليك هذه الاراضي قد جرى بغير حق ، ومن ثم فإن الادعاء بملكيتها باطل وكذلك فإن التصرفات التي تتم عليها تعد تصرفات باطلة ، لان مابني

الباطل فهو باطل . وقد عبر الامام علي (رض) عن رأيه هذا وموقفه في رد القطائع الى بيت المال بكل قوة وحزم في ثاني يوم من توليه الخلافة فقال : « والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الامام لرددته ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق »[١٩٧] .

لقد كان من الواضح للامام علي (رض) ان موقفه القومي والحازم ضد مصالح ملاك القطائع سيثيرهم عليه وسيدفعهم للوقوف ضده وهو في مستهل عهده بالخلافة ، الا انه لم يبال ، لانه كان ينطلق في سياسته من موقف مبدئي يؤمن بالحق والعدالة ، ان واجبه الاساس بصفته خليفة المسلمين هو ان يعطي لكل صاحب حق حقه حتى لو ترتب على ذلك ـ كما قال مخاطباً الناس : ان « يعود اسفلكم اعلاكم ، واعلاكم اسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قصروا ، وليقصرن سباقون كانوا سبقوا »[١٩٨] .

٤ ـ توزيع العطاء على اساس التسوية : ـ

لاحظ الامام علي بن ابي طالب (رض) ان السياسة التي كان قد استنها الخليفة عمر ابن الخطاب (رض) في توزيع العطاء على الناس على اساس التفضيل قد اخذت تترتب عليها بمرور الزمن آثار سلبية من حيث تفاوت الناس في الدخل ومستوى المعيشة . وقد تنبه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى مخاطر هذه الحالة وعزم على العدل عن طريقة توزيع العطاء على اساس التفضيل الى توزيعه على اساس التسوية قبيل وفاته فقال : « والله لئن بقيت الى هذا العام المقبل لالحقن آخر الناس بأولهم ، ولاجعلنهم رجلا واحداً »[١٩٩] ، وفي رواية اخرى قال : « لئن بقيت الى الحول لالحقن اسفل الناس باعلاهم »[٢٠٠] .

ويبدون ان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) كان قد اجتهد في مسألة العطاء حين رأى ان الواردات التي تأتي الى بيت المال كثيرة فاراد ان يوسع على المسلمين الاولين في العطاء ، فقام بتوزيع العطاء استناداً الى قاعدة « الرجل وبلاؤه في الاسلام ، والرجل وقدمه في الاسلام ، والرجل وغناؤه في الاسلام ، والرجل وحاجته ..... » .... وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رض) يعتقد ان مال العطاء سيسد حاجة الجميع حتى يأتي يوم تصل فيه الى الراعي بجبل صنعاء حصته وهو في مكانه[200] .

غير ان موارد بيت المال من الفيء وخمس الغنائم لم تمكن الدولة من تحقيق هذا الطموح الكبير ، وتوفي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو يعتزم العودة عن نظام التفضيل في العطاء الى نظام التسوية الذي سار عليه الخليفة ابو بكر الصديق (رض) من قبله وجاء الخليفة عثمان بن عفان (رض) الى الحكم فحافظ على هذا النظام من غير تغيير ولا تبديل على الرغم من تغير الظروف وقلة موارد وبيت المال بسبب فتور حركة الفتح والتحرير مما ادى الى تفاوت مستوى المعيشة بين الناس واتساع مسافة التمايز الطبقي بين فئات المجتمع .... فأخذ الناس في الشكوى والتذمر وانساق كثير منهم وراء الدعوة الى معارضة الخليفة عثمان بن عفان (رض) والثورة عليه .

لقد كان من الطبيعي على ضوء ماتقدم ، ان يعمد الامام علي بمجرد توليه الخلافة الى الغاء قاعدة العطاء على اساس التفضيل ويحل محلها مبدأ العطاء على اساس التسوية بين الناس ، بل ان هنالك مايشير الى انه قد جعل ذلك شرطاً من شروط قبوله الخلافة حين اراد الناس مبايعته بها فقد اورد الطبري ان الناس حين الحوا على الامام علي

(رض) بأن يتولى الخلافة قال لهم : « إنكم قد اختلفتم الي واتيتم واني قائل لكم قولاً ان قبلتموه قبلت امركم ، والا فلا حاجة لي فيه ، قالوا : ماقلت من شيء قبلناه ان شاء الله ، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس اليه ، فقال : اني ان كنت كارهاً لامركم ، فأبيتم الا ان اكون عليكم ، الا وانه ليس لي امر دونكم ، الا ان مفاتيح مالكم معي ، الا وانه ليس لي ان آخذ منه درهماً دونكم ، رضيتم ؟ قالوا : نعم قال : اللهم اشهد عليهم ، ثم بايعهم على ذلك[٢٠٣] .

وهكذا فقد كان قرار الامام علي بن ابي طالب (رض) في «التسوية بين الناس في العطاء من القرارات الاولى التي اصدرها عقب بيعته، وجاء حديثه عنها في الخطبة التي خطبها في اليوم التالي لبيعته مباشرة، وهي الخطبة التي جاء فيها[٢٠٤]: «ألا لايقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار وفجروا الانهار، وركبوا الخيول الفارهة، وأتخذوا الوصائف الرومة - الحسان - فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم - أي قيدتهم - الى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن ابي طالب حقوقنا!! ألا وايما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله (ﷺ) يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غداً عندالله، وثوابه واجره على الله، وايما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لافضل فيه لأحد على احد[٢٠٥]. . . » .

ويبدو ان هذا الموقف لم يقابل بالرضى من قبل المستفيدين من نظام التفضيل في العطاء، «ولقد كان في مقدمة الذين اعترضوا على

موقف علي هذا، طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وعبدالله بن عمر، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، ورجال من قريش وغيرها. بل لقد بلغوا في معارضتهم لقرار التسوية هذا حد نقض بيعتهم لعلي واعلان الحرب عليه، تحت ستار الطلب بدم عثمان(٢٠٦)» .

وقد اضطر الامام علي (رض) ان يدافع عن قراره في التسوية امام ناقديه في اكثر من مناسبة، فقد جاء في نهج البلاغة ان الامام علياً (رض) اجاب طلحة والزبير حين عتبا عليه من ترك مشورتهما بخصوص توزيع العطاء بقوله: «واما ماذكرتما من امر الاسوة فإن ذلك لم احكم انا فيه برأيي ولاوليته هوى مني، بل وجدت انا وأنتما ماجاء به رسول الله (ﷺ) قد فُرغ منه فلم احتج اليكما فيما فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عُتبى(٢٠٧)» .

ويبدو ان قوة نفوذ معارضي سياسة التسوية في العطاء قد حملت بعض الناس على تقديم نصيحة للامام علي (رض) للعدول عن هذه السياسة على امل كسب معارضيه فأجابهم بقوله: «أتأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ؟ . . . لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله، الا وان اعطاء المال في غير حقه تبذير واسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عندالله(٢٠٨). . . » .

ان هذا الموقف الحازم الذي وقفه الامام علي بن ابي طالب (رض) من مسألة التسوية في العطاء وتحمله لما يترتب عليه من مخاطر المعارضة والانقسام يدل على ان دعوته للعدالة والمساواة كانت من الامور المبدئية التي تصل لديه الى حد الاعتقاد الذي لايقبل المساومة او

الحلول الوسط. لذا فإن موقفه من هذه المسألة لم يتغير حينما جاءته الاخبار بأن الاغنياء والاشراف الذين بايعوه في المدينة والاقاليم قد أخذوا يتسللون الى الشام وينضمون الى جيش معاوية، بل كتب الى عامله على المدينة سهل بن الاحنف الانصاري يقول له فيه: «أما بعد فقد بلغني ان رجالاً من قبلك يتسللون الى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم، فكن لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق، وايضاعهم الى العمى والجهل، وانما هم اهل دنيا مقبلون عليها ومهطعون اليها، قد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا ان الناس عنده في الحق اسوة فهربوا الى الأثرة، فبعداً لهم وسحقا[٢٠٩]. . . » .

٥ ـ توجيه ولاته وعماله ومراقبتهم :ـ

كان الامام علي (رض) على يقين بأنه لايكفي لتحقيق العدالة وحسن ادارة البلاد ان تكون المبادىء المتبعة في الحكم سليمة، وانما لابد ان يحسن الولاة والعمال تطبيقها بصورة تعبر عن روح المبادىء وحقيقة فلسفة الدولة. لذا فقد اولى الامام علي (رض) عناية كبيرة لمسألة توجيه عماله وولاته على المدن والاقاليم ومحاسبتهم على الصغيرة والكبيرة، وان محاولة حصر تفاصيل ماورد من كتب ومراسلات وتوجيهات للامام علي (رض) لايتسع لها المجال في مثل هذه الدراسة الوجيزة. لذا سنكتفي بتقديم بعض الصور التي تساعد على توضيح موقف الامام علي بن ابي طالب (رض) في هذا المجال : ـ

أ ـ كتب الامام علي (رض) الى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خُرَّه يحاسبه على سوء توزيعه للفيء ومحاباته لقومه في هذا المجال، يقول له فيه : «بلغني عنك أمر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك : انك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم و خيولهم وأريقت

عليه دماؤهم فيحن اعتامك من اعراب قومك ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقاً لتجدن بك علي هواناً ولتخفن عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولاتصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين اعمالاً . الا وإن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه ويصدرون عنه[210]» .

ب ـ كتب الامام علي بن ابي طالب (رض) الى قاضيه شريح بن الحارث حين بلغه انه قد اشترى داراً بثمانين ديناراً يستدعيه لمحاسبته ويقول له: « . . . فأنظر ياشريح لاتكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، او نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة . . .[211] » .

جـ ـ كتب الامام علي (رض) الى زياد بن ابيه وكان خليفة عامله عبدالله بن عباس على البصرة يقول له فيها: «واني اقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً او كبيراً، لأن اشدنَّ عليك شدة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الامر، والسلام» وفي رسالة اخرى كتب اليه يقول: «فدع الاسراف مقتصداً واذكر في اليوم غداً، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل اليوم حاجتك[212]» .

د ـ كتب الامام علي (رض) الى عثمان بن حنيف الانصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضىٰ اليها، يحاسبه على ذلك خشية ان يؤثر ذلك على حسن ادارته ومعاملته للناس على قدم المساواة، يقول له فيها: «اما بعد، يآبن حنيف فقد بلغني ان رجلاً من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة، فأسرعت اليها، تُستطاب لك الالوان، وتنقل اليك الجنان، وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فآنظر الى

مانقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما ايقنت بطيب وجوهه ننل منه[٢١٣] » .

هـ ـ حرص الامام علي (رض) على ان يوضح لعماله رخاصة اولئك الذين يتولون جباية الخراج والصدقة، حدود واجباتهم، واسلوب تعاملهم مع الناس، كي يمنعهم من ظلم الناس والأساءة اليهم . فقد جاء في احدى رسائله الى احد عماله وقد بعثه على الصدقة يأمره فيها «ان لايجبههم، ولا يعضهم، ولايرغب عنهم تفضلاً بالأمارة عليهم، فإنهم الاخوان في الدين، والاعوان على استخراج الحقوق . ـ ثم يخاطبه قائلاً ـ: وان لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً، وشركاء اهل مسكنه وضعفاء ذوي ناقه، وان موفوك حقك فوفهم حقوقهم . . . .[٢١٤] . وفي كتاب آخر وجهه الامام علي (رض) الى عماله على الخراج يقول لهم فيه : « . . . فأنصفوا الناس من انفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنكم خُزان الرعية، ووكلاء الامة، وسفراء الأئمة، ولاتحسموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه علن طلبته، ولاتبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولاصيف ، ولادابة يعتملون عليها، ولا عبداً، ولا تضربن احداً سوطاً لمكان درهم، ولاتمسن مال احد من الناس، مصل ولا معاهد . . .[٢١٥] » .

٦ ـ حرصه على رعاية حقوق الافراد وتحقيق المساواة بينهم :

يتضح مما تقدم، مدى حرص الامام علي (رض) على رعاية حقوق افراد الامة وتحقيق المساواة والعدالة بينهم على الرغم من ان ذلك كان يغضب الفئات المتنفذة والقوية في المجتمع .

وإن للقارىء ان يتساءل عن الاسباب التي دفعت الامام علياً (رض) الى اتخاذ هذا الموقف، والعوامل التي ساهمت في تشكيل توجهاته

الاجتماعية، وخاصة تلك المتصلة بموقفه من الفقـراء والمستضعفين، ومناوأة الاقوياء والمستغلين .

ان مجمل سيرة الامام علي (رض) منذ طفولته وحتى توليه الخلافة والظروف التي احاطت بها تجيب على هذا السؤال، وربما كان عرض النقاط الآتية مما يساعد على ابراز الملامح الاساس في شخصية الامام ويفسر موقفه وطريقته في التعامل مع القضايا العامة موضع البحث :ـ

١ ـ ان الظروف الاقتصادية الصعبة التي نشأ فيها الامام علي (رض) جعلتـه يشعر بهمـوم الفقراء والمحتـاجين، وينفـر من حياة الاغنيـاء والمترفين، ويستنكر حرصهم عـلى جمع الامـوال واحتكار الثـروات، ويرى في ذلك مظهراً من مظاهر الظلم والاستغلال للفقراء والمعوزين لان «الله سبحانه، فرض في اموال الاغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير الا بما مُتع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك[٢١٦] » .

٢ ـ ان نشأة الامام علي (رض) في بين النبوة، وصحبته الطويلة للرسول (ﷺ)، وايمانه المبكر بالاسلام، قد جعلته يستوعب ويتشبع بقيم الاسلام ومثله العليا والتي يمكن ايجاز الجوانب الاجتماعية منها في النقاط الاتية :ـ

أ ـ ان الناس عباد الله وخلقه، وان التفاضل بينهم في الاسلام لايقوم على اساس الثرّوة والنسب وانما على اساس التقوى والعمل الصالح .

ب ـ ان المال مال الله، والناس مستخلفون للعمل فيه واستثماره وفقاً لاوامر الله، فلا يجوز لصاحب المـال ان يحتكر المـال، او يتخذه أداة للظلم والاستغلال والتعالي على الفقراء والمحتاجين . بل ان من واجبه ان يضع هذا المال في خدمة الناس والمجتمع .

جـ ـ ان الحياة الدنيا، طريق الاخرة، فلا ينبغي للانسان ان يتشبث بأسباب الدنيا ويتعلق بها كأنه مخلد فيها، وإنما عليه ان يتزود منها تزود المسافر «الزاهد» الذي يرىٰ في كثرة المال عبئاً يعوقه عن الحركة ويمنعه من حسن المسير. لذا عاش الامام علي (رض) قليل المال، زاهداً فيه، حتى بعد ان أقبلت الدنيا على المسلمين وغدا بإمكانه ان يجمع من المال والثروة ماشاء .

٣ ـ ان قوة الامام علي (رض) وشجاعته، وروح الفروسية التي كان يتحلىٰ بها، قد جعلته يؤمن بالحق ويدافع عنه ولا يقبل المساومة عليه لأي اعتبار من الاعتبارات .

لذا كانت سياسته امتداداً لسياسة النبي والخلفاء الراشدين الذين جاؤوا من بعده، وهي في جوهرها مخالفة في سيرته، ويجدد روح الخلافة الاسلامية التي قامت من بعده، فهل يمكن ان تكون كسياسة المصالح والمنافع الدنيوية التي تقوم عليها الدول الملكية والامبراطورية ؟[٢١٧] . . .

٧ ـ الامام علي (رض) وأزمة نظام الخلافة :ـ

اوضحت العديد من الدراسات ان الصعوبات التي واجهت الامام علياً (رض) إبان فترة خلافته والانقسامات التي ظهرت بعد توليه الخلافة لايمكن ارجاعها الى شخصية الامام علي بن ابي طالب (رض) او طبيعة المبادىء والمثل التي حاول تطبيقها، وانما كان سببها هو التحولات الكبرى التي اصابت المجتمع العربي الاسلامي نتيجة انتشار سلطان الاسلام على رقعة واسعة من الارض ودخول اقوام عديدة تحت حكمه .

ان توسع رقعة الدولة الاسلامية كان مصدر قوة للدولة الجديدة ومصدر ضعف لها في ذات الوقت «كان مصدر قوة لانه بسط سلطانها ومد ظلها على

اقطار كثيرة من الارض، وكان مصدر ضعف لانه اخضع لها كثرة من الناس لايؤمنون بها وانما يخافون منها ويرهبون سلطانها، وكان مصدر قوة لانه جبى لها كثيراً من المال الذي لم يكن يخطر لها على بال، وكان مصدر ضعف لان هذا المال ايقظ منافع كانت نائمة، ونبه مآرب كانت غافلة ولفت اليه نفوساً كانت لاتفكر الا في الدين، ثم خلق حاجات لم تكن معروفة ولا مألوفة، واظهر للعرب فنوناً من الترف وخفض العيش فأغراهم ودعاهم اليها، ثم عودهم اياها، ثم أخذهم بها أخذاً، الا قلة قليلة جداً استأثر الدين بها من دون الدنيا، وشغلها التفكير في الله عن التفكير في المنافع والحاجات[٢١٨] ».

فلا عجب ان ظهر نتيجة للعوامل الآنف ذكرها انقسام حاد في المجتمع بين دعاة الدنيا ودعاة الدين، ولا غرابة ان وجدنا دعاة الدنيا يحاولون احتواء نظام الخلافة وتحويله الى نوع من النظام الملكي الذي يستند الى المنافع والمصالح التي تلبي حاجات القوى المتنفذة في المجتمع .

لقد لقي الامام علي بن ابي طالب (رض) عناءاً شديداً وهو يصارع القوى التي تحاول الانحراف بنظام الخلافة عن مسارها القويم، ولقي عنتاً شديداً من جراء ضعف اتباعه وتفرقهم في الدفاع عن الحق، مما يدل «على ان سلطان الدين على النفوس لم يكن من القوة في المنزلة التي كان فيها أيام عمر، وعلى ان سلطان المال والسيف كان قد استأثر بالقلوب والنفوس . وكل شيء يدل على ان علياً والذين ذهبوا مذهبه في المحافظة على سيرة النبي والشيخين، انما كانوا يعيشون في آخر الزمان الذي غلب الدين فيه على كل شيء[٢١٩] ».

لقد عبر الامام علي بن ابي طالب (رض) عن ضيقه بهذا الواقع وحزنه الشديد على ما آلت اليه امور الناس في الكثير من الخطب والاحاديث التي ضمها كتاب نهج البلاغة، نحو قوله مخاطباً اتباعه: «اما والذي نفسي بيده، فليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لانهم اولى بالحق منكم، ولكن

لاسراعهم الى باطل صاحبهم، وابطائكم عن حقي، ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، واصبحت اخاف ظلم رعيتي، استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، واسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تتقبلوا، أشهود كغياب، وعبيد كأرباب، أتلو عليكم الحِكم فتنفرون منها، واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، واحثكم على جهاد اهل البغي فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم، اقومكم غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحية، عجز المقوِّم واعضل المقوَّم[٢٢٠] » .

كان الامام علي (رض) يريد من الناس ان يتبعوه ويطيعوه بصورة طوعية لا أثر فيها لأكراه السلطة او إغراء المال، وكان عدد الناس الذين يستجيبون لدعوته بدافع الايمان المجرد بالحق محدوداً جداً، وهو كذلك في كل زمان ومكان، اما خصومه فكانوا يجمعون الناس تحت رايتهم بشتىٰ السبل، فلا يترددون في استخدام بريق السلطة وإغراء المال وتهديد السيف، فلا عجب إن مال الميزان لصالحهم في ميدان الصراع، ولا غرابة ان رأينا الامام علياً (رض) يشكو من اسراع الناس الى الباطل، وابطائهم عن نصرة الحق[٢٢١] .

ان المظاهر الآنفة الذكر تشير الى ان نظام الخلافة الراشدة كان في طريقه الى الزوال، ومن الظلم لوم الامام علي بن ابي طالب (رض) «على شيء من الاشياء التي افضت الى هذه الخاتمة، وهي محتومة ليس عنها محيد . . . اذ لم يكن طبيعياً ان يصمد الناس على سنة النبوة اكثر من جيل واحد، تثوب بعده الطبائع الى فطرتها . . . وتفتر عن النهوض من قمة الى قمة . . . فتركن آخر الامر الى الارض السواء حيث لاحافز ولا مستنهض، الا مجاراة الطبيعة في

كان الامام علي (رض) في أخريات ايامه يشعر بالحزن والحسرة على ما آلت اليه امور لمسلمين، وكان يعبر عن ما يعتلج في اعماقه من حزن وأسى في احاديثه وخطبه الموجهة الى اصحابه واتباعه، وهي طافحة بالنقد واللوم لهم على ترددهم وعجزهم عن نصرته في المواقف الحاسمة .

٨ ـ استشهاد الامام علي (رض) : -

ان من المحزن والمثير حقاً ان تأتي نهاية الامام علي (رض) واستشهاده على يد احد الخوارج الذين كانوا من اشد انصار الامام علي واعوانه، ثم انقلبوا عليه وحملوا السيف ضده بسبب قبوله التحكيم لفض النزاع بينه وبين معاوية، مدعين عدم جواز تحكيم الرجال في امر ذلك النزاع لأنه لاحكم الا لله على حد قولهم[٢٢٣] .

لقد دفع التعصب وضيق النظر ثلاثة من هؤلاء الخوارج الى الاعتقاد بأن اغتيال الامام علي (رض) ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص سينهي اسباب الصراع بين المسلمين ويعيد الوحدة الى الامة الممزقة بسبب الخلاف حول صاحب الحق في الخلافة . فتعاقدوا وتعاهدوا في ليلة السابع عشر من رمضان في مكة على ان «لاينكص رجل منهم عن صاحبه الذي سمي ويتوجه اليه حتى يقتله او يموت دونه[٢٢٤] » .

وكان الامام علي بن ابي طالب (رض) من حصة عبدالرحمن بن ملجم المرادي «وهو من حمير، وعداده في مراد، وهو حليف بني جبله من كنده[٢٢٥]» ، وقد توجه الى الكوفة حيث يقيم الاما علي (رض) .

وقد ذكر ابن سعد ان عبدالرحمن بن ملجم لقي اصحابه من الخوارج في الكوفة «فكاتمهم مايريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوماً نفراً من تيم الرباب، فرأى إمرأة منهم يقال لها فطام بنت شجنة . . . وكان علي (رض)

قتل اباها وأخاها يوم النهروان . . وهي احدى معاركه ضد الخوارج - فأعجبته فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تسمي لي - مهراً - فقال: لا تسأليني شيئاً الا اعطيتك، فقالت : ثلاثة آلاف، وقتل علي بن ابي طالب. فقال: والله ماجاء بي الى هذا المصر الا قتل علي بن ابي طالب، وقد أتيتك ما سألت، ولقي عبدالرحمن بن ملجم شبيب بن بجرة الاشجعي فأعلمه مايريد ودعاه الى ان يكون معه فأجابه الى ذلك[٢٢٦] ».

وقد كمن المتآمرون للامام علي (رض) قبيل صلاة الصبح ومعهما سيفاهما في المسجد مقابل السدة التي يخرج منها الامام علي (رض)، فلما حان وقت صلاة الصبح خرج الامام علي (رض) الى المسجد وهو ينبه الناس الى الصلاة بقوله : «ايها الناس الصلاة الصلاة، كذلك كان يفعل في كل يوم، يخرج ومعه درته يوقظ الناس، فأعترضه الرجلان، فقال بعض من حضر ذلك، فرأيت بريق السيف وسمعت قائلاً يقول: لله الحكم ياعلي لا لك ! ثم رأيت سيفاً ثانياً فضربا جميعاً، فأما سيف عبدالرحمن بن ملجم فأصاب جبهته الى قرنه ووصل الى دماغه، واما سيف شبيب فوقع في الطاق، وسمعت علياً (رض) يقول: لايفوتنكم الرجل، وشد عليهما الناس من كل جانب، فأما شبيب فأفلت، وأخذ عبدالرحمن بن ملجم فأدخل على علي (رض) فقال: أطيبوا طعامه، وألينو فراشه، فإن أعش فأنا اولى بدمه عفواً وقصاصاً، وان أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين[٢٢٧] ».

لقد كانت اصابة الامام علي (رض) اصابة قاتله، كما ذكر ان سيف عبدالرحمن بن ملجم كان مسموماً، لذا لم يمكث الامام علي (رض) بعد اصابته سوى يوم الجمعة وليلة السبت، ثم توفي شهيداً ليلة الأحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٤٠ للهجرة، وقد غسله وكفنه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم جميعاً[٢٢٨] .

لقد فقدت الامة بأستشهاد الامام علي بن ابي طالب (رض) رجلاً عظيماً، وخليفة راشداً وفارساً مقداماً، ولا أدل على عظمة خلقه وفروسيته من وصيته بالرأفة بقاتله، وتأكيده على بني عبدالمطلب بألا يتجاوزوا حدود وصيته في معاملة القاتل : «يابني عبدالمطلب لا الفينكم تخوضون في دماء المسلمين خوضاً، تقولون قتل امير المؤمنين، الا لا تقتلن بي الا قاتلي . انظروا اذا انا مت من ضربته هذه فأضربوه ضربة بضربة، ولايمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : اياكم والمثلى ولو بالكلب العقور . . .[229]».

لقد رفع هذا الموقف العظيم وغيره من المواقف الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، من مصاف البشر الفانين الى مصاف الرجال الخالدين . . . ، الخالدين بسيرتهم ومبادئهم مثلهم العليا. وربما كان الوصف الذي قدمه ضرار الصدي عن الامام علي (رض) حينما طلب منه معاوية بن ابي سفيان ذلك، خير مايوضح صورة الامام علي بن ابي طالب (رض) كما حفظتها لنا بعض المصادر وقبلتها الاجيال المتوالية . روي «ان معاوية قال لضرار الصدي صف لي علياً فقال: اعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنه لي، قال: أما اذ لابد من وصفه، كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا، ويأنس الى الليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ماقصر، ومن الطعام ماخشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا اذا سألناه، ويثيبنا اذا استثبناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا، لانكاد نكلمه هيبة له، يعظم اهل الدين، ويقرب المساكين، لايطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه، قابضاً لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، يقول: يادنيا غُري غيري، الي تعرضت ؟ او اليَّ تشوقتِ ؟ . . . هيهات

هيهات، قد باينتك ثلاثاً، لارجعة منها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا حسن كان والله كذلك، فكيف كان حزنك عليه ياضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها في حجرها[٢٣] » .

اجل . . . رحم الله ابا الحسن، فقد عاش من اجل المبادىء والشهادة فأنتصر بالمبادىء وانتصرت المبادىء به، ونال الشهادة، وصار ابا الشهداء في التاريخ .

الهوامش

(١) الطبري، محب الدين احمد بن عبدالله ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، بغداد (بلا تاريخ) ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ص٦٨ ، ابن ابي الحديد، شرح منهج البلاغة ج١٣، ص٢٣٤ - ٢٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٨ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥، ق١ ، ص٢٤٦ .

(٥) الخطيب عبدالكريم ، علي بن ابي طالب ، بقية النبوة وخاتم الخلافة ، لبنان ١٩٧٥ ص٨٣ .

(٦) الطبري، محب الدين، ذخائر العقبى ، ص ٦٧ ، والخطيب، علي بن ابي طالب ص٩٣ .

(٧) الخطيب، علي بن ابي طالب ٩١ .

(٨) الطبري ، ذخائر العقبى ، ؛ ص٦٦ - ٦٧ .

(٩) الطبري، ذخائر العقبى ص ٦٧ .

(١٠) العقاد ، عباد محمود ، عبقية الامام علي، مصر ١٩٦١، ص١٥ -

(١١) الطبري، ذخائر العقبى، ص ٦٦ .

(١٢) ابن ابي الحديد ، شرح منهج البلاغة، مصر ١٩٦١ ، ج١٣، ص١٩٧ .

(١٣) العقاد، عبقرية الامام ص١٦ .

(١٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ص٢٤٠ - ٢٤٧ .

(١٥) المصدر نفسه ق١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(١٦) المصدر نفسه ق١ ص٢٤٦ - ٢٤٧ .

(١٧) سورة الحجر ٩٤ .

(١٨) سورة الشعراء ٢١٤ .

(١٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص ٣١٨ - ٣٢٢ .

(٢٠) سورة الزخرف : ٣١

(٢١) عماره ، محمد، علي بن ابي طالب، نظرة عصرية جديدة، بيروت ١٩٧٤، ص ٨ - ٩ .

(٢٢) سورة الزخرف ٢٣ - ٢٤ .

(٢٣) ابن هشام، السيرة، ق١ص٢٦٤ - ٢٦٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ق١ ص٣٥٠ .

(٢٥) المصدر نفسه ق١ص٣٥١ .

(٢٦) ابن ابي الحديد، شرح منهج البلاغة، مصر ١٩٦٢ ج١٤ ص٦٥ .

(٢٧) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ج١٤، ص٥٨ .

(٢٨) المصدر نفسه ج١٤ ص٥٩ .

(٢٩) المصدر نفسه ج١٤ ص٥٩ .

(٣٠) الطبري، تاريخ، ج٢ ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

(٣١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ج١٣ ص ٢٥٤ .

(٣٢) ابن هشام، السيرة، ق١ص٤١٦ .

(٣٣) المصدر نفسه ق١ ص٤١٦ .

(٣٤) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣٥) ابن هشام، السيرة، ق١ ص٤٨٠ - ٤٨٢ .

(٣٦) المصدر نفسه، ق١ ص٤٨٥ .

(٣٧) المصدر نفسه، ق١ ،ص٤٨٢ - ٤٨٣ .

(٣٨) المصدر نفسه ، ق١ص٤٨٣ .

(٣٩) المصدر نفسه، ق١ ص ٤٨٤ ، سورة الانفال : ٣٠ .

(٤٠) المصدر نفسه، ق١ ص ٤٨٥ .

(٤١) المصدر نفسه، ق١ ص ٤٩٣ .

(٤٢) المصدر نفسه، ق١ ص ٤٩٤، ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧ ج٣ ص٢٢ .

(٤٣) ابن هشام، السيرة ، ق١ ، ص٤٩٤ .
(٤٤) المصدر نفسه ، ق١ ص ٤٩٦ - ٤٩٧ مع الرجوع الى المصدر نفسه ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ٢/ ١١٤ .
(٤٥) المصدر نفسه ، ق١ ص ٥٠٥ .
(٤٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٢ .
(٤٧) المصدر نفسه ، ج٣ ص٢٢ .
(٤٨) المصدر نفسه ، ٢٣ .
(٤٩) ابن هشام، السيرة ق١ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .
(٥٠) الطبري، تاريخ ، ج٢ ص٣٨٢ - ٣٨٣ .
(٥١) الواقدي ، المغازي، بيروت ١٩٦٦ ، ج١ ص٣٧٩ .
(٥٢) محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٧ .
(٥٣) المصدر نفسه ص ٣٨ .
(٥٤) المصدر نفسه ص ٤٤ - ٤٥ .
(٥٥) المصدر نفسه ص ٤٥ .
(٥٦) الطبري، ذخائر العقبى ص ٤٢ .
(٥٧) المصدر نفسه ص ٤٣ .
(٥٨) المصدر نفسه ص ٣٧ .
(٥٩) المصدر نفسه ص ٦٢ .
(٦٠) المصدر نفسه ص ٣٩ .
(٦١) دور منغم ، أميل، حياة محمد، نقله الى العربية عادل زعيتر، ط٢، القاهرة ص٢٢٨ .
(٦٢) المصدر نفسه ص ٢٢٨ .
(٦٣) سورة الحجرات : ١٣ .
(٦٤) محب الدين الطبري، ذخائر العقبى ص١١٤ .
(٦٥) المصدر نفسه ص١١٥ .
(٦٦) المصدر نفسه ص ١١٤ .
(٦٧) المصدر نفسه ص ١١٥ .
(٦٨) المصدر نفسه ص ١١٦ .
(٦٩) الطبري، ذخائر العقبى ص ٦١

(٧٠) العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون ص٢٩ .

(٧١) الطبري، ذخائر العقبى ص٣٤ - ٣٥ .

(٧٢) المصدر نفسه ص ٤٧ .

(٧٣) المصدر نفسه ص ٤٧ .

(٧٤) المصدر نفسه ص ١٣١ .

(٧٥) المصدر نفسه ص ١٢٩ .

(٧٦) العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون، ص٣١؛ راجع ايضاً الطبري، ذخائر العقبى، ص١٤١ - ١٤٣ .

(٧٧) العقاد، المرجع نفسه ص٣٢؛ راجع ايضاً ابن هشام، السيرة النبوية ، قسم ١ ص ٦٠٠ .

(٧٨) الطبري، ذخائر العقبى ص٤٧ - ٤٨ .

(٧٩) العقاد، فاطمة الزهراء ص٣٣ .

(٨٠) سورة الحج : ص٣٩ - ٤١

(٨١) خالد ، خالد محمد، خلفاء الرسول، بيروت ١٩٧٤ ص٤٩٧ .

(٨٢) ابن هشام، السيرة ق١، ص٥٩٠ - ٥٩١ ، الطبري، تاريخ، ج٢ ص٤٠٢ - ٤٠٣ ؛ يراجع بحثنا : اضواء على دور الانصار في مغازي وسرايا الرسول (ﷺ) حتى غزوة بدر ، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، بغداد، ١٩٧١، عدد ٣ ص٣٠ .

(٨٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٣ .

(٨٤) ابن هشام، السيرة، ق١ ص٦٢٧ .

(٨٥) المصدر نفسه ق١ ص٦١٦ .

(٨٦) المصدر نفسه، ق١ ص ٦١٢ - ٦١٣ .

(٨٧) المصدر نفسه، ق١ ص ٦٢٥ .

(٨٨) المصدر نفسه، ق١ ص ٧١٤ - ٧١٥ ، ٧٠٦ - ٧٠٨ .

(٨٩) المصدر نفسه، ق١ ص ٧٠٦ .

(٩٠) الخطيب، علي بن ابي طالب ص١٣١ - ١٣٢ .

(٩١) ابن هشام، السيرة ق٢ ص١٦١ - ٦٦ .

(٩٢) خطاب، محمود شيت، الرسول القائد ، بغداد ١٩٥٨، ص١١٩ - ١٢٠ .

(٩٣) الرافدي، المغازي، ج١ص٢٥٩

(٩٤) ... ٢٢٦ .

(٩٥) المصدر نفسه، ج١ ص٢٨٥ - ٢٨٦

(٩٦) ابن هشام، السيرة، ق٢، ص ٧٢، ٨١ - ٨٣ .

(٩٧) خطاب، الرسول القائد، ص١١٥ .

(٩٨) ابن هشام، السيرة، ق٢ ص١٠٠

(٩٩) المصدر نفسه، ق٢ ص ١٠٠

(١٠٠) ابن هشام، السيرة ق٢ ص٢١٤ - ٢١٥ ، الواقدي، المغازي ج٢ شص٤١٤ .

(١٠١) ابن هشام، السيرة ق٢ ص ٢١٦ ، خطاب، الرسول القائد، ص١٥١ .

(١٠٢) ابن هشام، السيرة ق٢ ، ص٢٢٤ - ٢٢٥ .

(١٠٣) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٤٧٠ - ٤٧١ .

(١٠٤) خطاب، الرسول القائد، ص١٥١ .

(١٠٥) الطبري، مختصر الطبري ص٥٧ .

(١٠٦) سورة الأحزاب: ١٠ - ١١ .

(١٠٧) ابن هشام، السيرة ق٢ ، ص٢٥٤ .

(١٠٨) المصدر نفسه ق٢ ص٣٢٨ .

(١٠٩) الواقدي، المغازي ج٢ ص ٦٣٤ .

(١١٠) المصدر نفسه، ج٢ ص ٦٣٤ ، ٦٣٧ .

(١١١) المصدر نفسه ج٢ ص٦٣٧ .

(١١٢) الواقدي، المغازي، ج٢ ص٦٣٣ - ٧٠٦ ، راجع ايضاً بحثنا الملاح، د . هاشم الابعاد العسكرية والسياسية لمعارك تحرير خيبر، مجلة المؤرخ العربي، بغداد ، عدد ٣٤ سنة ١٩٨٧ ص١٣٦ - ١٤٠ .

(١١٣) ابن هشام، السيرة، ق٢ ص٣٢٨ .

(١١٤) الواقدي، المغازي ج٢ ص٦٥٣ .

(١١٥) المصدر نفسه ج٢ ص٦٥٤ .

(١١٦) المصدر نفسه ج٢ ص٦٥٥ .

(١١٧) المصدر نفسه ج٢ ص٦٤١

(١١٨) ابن هشام السيرة ق٢ ص٣٩٠ ، ٣٩٤ - ٣٩٦ ؛ الواقدي، المغازي ج٢ ص٧٨٤ - ٧٨٥

(١١٩) ابن هشام، السيرة ق٢ ص٣٩٥ ، ٣٩٧ .

(١٢٠) المصدر نفسه ق٢ ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(١٢١) ابن هشام، السيرة ق٢ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(١٢٢) المصدر نفسه، ق٢ ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(١٢٣) المصدر نفسه، ق٢ ص ٤٢٨ .

(١٢٤) المصدر نفسه ق٢ ص٤٢٩ - ٤٣٠ .

(١٢٥) المصدر نفسه، ق٢ ص ٣١٧ - ٣١٩ .

(١٢٦) الخزاعي، علي بن محمد، تخريج الدلالات المسمعية، بيروت ١٩٨٥ ص١٧١ .

(١٢٧) العقاد، عبقرية الامام علي، ص١٨٣ .

(١٢٨) ابن هشام، السيرة ق٢ ص٥٤٥ - ٥٤٦ .

(١٢٩) الطبري، محب الدين، ذخائر العقبى ص٨٠ .

(١٣٠) المصدر نفسه ص٨٠ .

(١٣١) ابن هشام، السيرة، ق٢ ص٥١٩ .

(١٣٢) المصدر نفسه، ق٢ ص٥١٩ . ٥٢٠ ، راجع ايضاً ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج٣ ص٢٤ - ٢٥ .

(١٣٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٣ ص٢٤ .

(١٣٤) ابن هشام، السيرة ق٢ ص٦٠٠ .

(١٣٥) المصدر نفسه ق٢ ص٦٠٣ .

(١٣٦) الخزاعي، تخريج الدلالات السمعية ص٢٧٢ .

(١٣٧) ابن هشام، السيرة ق٢ ص٦٥٤ - ٦٥٦ .

(١٣٨) سورة الاحزاب : ٤٠ .

(١٣٩) لمزيد من التفاصيل يراجع بحثنا اساليب دول السلطة في الدولة العربية الاسلامية مجلة اداب الرافدين، الموصل العدد ٧ سنة ١٩٧٦ ص٩ - ١٢ .

(١٤٠) ابن هشام، السيرة، ق٢ ص ٦٥٦ - ٦٦١ -

(١٤١) المصدر نفسه، ق٢ ص ٦٦١ .

(١٤٢) المصدر نفسه ق٢ ص٦٦٢ - ٦٦٣ .

(١٤٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٤ ص٣٥ -

(١٤٤) المصدر نفسه ج١٧ ص١٥٣ - ١٥٤ .

(١٤٥) المصدر نفسه ج١٧ ص١٥٠

(١٤٦) تاريخ اليعقوبي، النجف ١٩٧٤ ، ج٢ ص١٣٢ .

(١٤٧) خالد محمد خالد، خلفاء الرسول ص٥٢٧ ، المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب [illegible] ١٩٥٣ ج١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

علي والخلفاء، جريدة الجمهورية، العدد ٦٨١١، في ١٩٨٨/٥/٩ .
(١٤٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء، مصر ١٩٥٢، ص١٧٨ .
(١٥٠) ابن سعد، الطبقات ج٣ ص٢٩٥ .
(١٥١) المصدر نفسه، ج٣ ص٢٩٦ - ٢٩٧ .
(١٥٢) شرح نهج البلاغة، ج٩ ص٩٥؛ رجع ايضاً، الطبري، تاريخ ج٤ ص١٢٥ .
(١٥٣) عواد، علي والخلفاء، جريدة الجمهورية، عدد ٦٨١٢ في ١٩٨٨/٥/١٠ .
(١٥٤) اليعقوبي، تاريخ، ج٢ ص١٤٠ .
(١٥٥) ابو يوسف، الخراج، بيروت ١٩٧٩ ص٧٤ .
(١٥٦) ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، القاهرة، د . ت ، ص١٧٠ .
(١٥٧) وليم، اخبار القضاة ، بيروت بلا تاريخ ، ج١ ، ص٨٩ .
(١٥٨) محب الدين الطبري، ذخار العقبى، ص ٩٢ .
(١٥٩) المصدر نفسه ص ٩٢ .
(١٦٠) المصدر نفسه ص ٩٠ - ٩٢ .
(١٦١) الطبري، تاريخ ، ج٤ ص ١٩٩ .
(١٦٢) ابن سعد، الطبقات ج٣ ص٢٠ .
(١٦٣) طه حسين، علي وبنوه، مصر ١٩٧٥، ص١٦ .
(١٦٤) الطبري، تاريخ ج٤ ص٢٢٨ .
(١٦٥) بان سعد، الطبقات ج٣ ص ٣٧٠ .
(١٦٦) الطبري، تاريخ ج٤ ص ٢٢٧ - ٢٣١ .
(١٦٧) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٣١ .
(١٦٨) المصدر نفسه ج٤ ص ٢٣٨ .
(١٦٩) المصدر نفسه ج٤ ص٢٣٨ ، ابن سعد، الطبقات ج٣ ص٦٢ .
(١٧٠) طه حسين، الفتنة الكبرى، عثمان، مصر ١٩٧٦ ص١٥٣ - ١٥٤ .
(١٧١) المرجع السابق، ص٢١٥ -٢١٨؛ شعبان، د . محمد عبد الحي ، صدر الاسلام والدولة الاموية، بيروت ١٩٨٣ ص٧٤ - ٧٥ .
(١٧٢) ابن سعد، الطبقات، ج٣ ص٥٣ طه حسين، عثمان ص ٥٠ - ٥١ .
(١٧٣) طه حسين، عثمان ص٥١ - ٥٢ ؛ ابن سعد، الطبقات، ج٣ ص٥٦ .
(١٧٤) طه حسين، عثمان، ص ٥٢ - ٥٣ .
(١٧٥) ابن سعد، الطبقات، ج٣ ص٦٤ .
(١٧٦) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، بغداد ١٩٨٤، ج٢ ص٦٨ .

(١٧٧) عواد، علي والخلفاء، جريدة الجمهورية في ١٠/٥/١٩٨٨؛ لمزيد من التفصيل يراجع كتاب العواصم من القواصم لابي بكر بن العرب، القاهرة ١٣٧٥هـ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
(١٧٨) ابن سعد، الطبقات، ج٣ ص٦٧ ، ص٧٠ .
(١٧٩) المصدر نفسه، ج٣ ص٧٧ .
(١٨٠) الطبري، تاريخ ج٤ ص٤٣٢ .
(١٨١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .
(١٨٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٣٤ .
(١٨٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٣٤ - ٤٣٥ .
(١٨٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٢٧ .
(١٨٥) تاريخ الدولة العربية، القاهرة ١٩٦٨، ص٥١ ثلهاوزن .
(١٨٦) المرجع نفسه ص ٥٠، نهج البلاغة ج٢ ص ٦٩ .
(١٨٧) الطبري، تاريخ ج٣ ص٦٧ .
(١٨٨) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٣٤ .
(١٨٩) الطبري، تاريخ، ج٤ ص ٤٤٣ .
(١٩٠) طه حسين، علي وبنوه ص٢٢ .
(١٩١) يراجع على سبيل المثال الطبري، تاريخ، ج٤ ص٥٦١ - ٥٧٦؛ طه حسين، علي وبنوه ص ٥٦ - ١٠٧؛ العقاد، عبقرية الامام علي ص ١١٥ - ١٢٨ .
(١٩٢) الطبري، تاريخ ج٤ ص ٥٤٧، ٥٤٨ .
(١٩٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٥٤٩ .
(١٩٤) نهج البلاغة، ج٣ ص٧٦، راجع ايضاً ج٣ ص٢٧ - ٢٩، ص٨٢ - ١١١ .
(١٩٥) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٨ - ١٩؛ راجع ايضاً ج٣ ص٤ - ٦، ص١٨ - ٢٠ .
(١٩٦) عمارة، محمد، علي بن ابي طالب، نظرة عصرية جديدة، بروت ١٩٧٤ ص٢٧ .
(١٩٧) نهج البلاغة، ج١، ص٤٦ .
(١٩٨) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٧ .
(١٩٩) ابن سعد، الطبقات ج٣، ص٣٠٤ .
(٢٠٠) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٠٤ .
(٢٠١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٢٩٩ .
(٢٠٢) عماره، علي بن ابي طالب، نظره عصرية جديدة ص ٢٧ - ٢٩ .

(٢٠٣) الطبري، تاريخ ج٤، ص٤٢٨ .
(٢٠٤) عمارة، علي بن ابي طالب ص٣٠ .
(٢٠٥) نهج البلاغة ص٤٠٨ .
(٢٠٦) عمارة ، علي بن ابي طالب ص٣١ .
(٢٠٧) نهج البلاغة، ج٢ ص١٨٥ .
(٢٠٨) المصدر نفسه ج٢ ص٦ .
(٢٠٩) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ .
(٢١٠) نهج البلاغة ج٣ ص٦٨ .
(٢١١) المصدر نفسه ج٣ ص٤ .
(٢١٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٩ .
(٢١٣) المصدر نفسه ج٣ ص ٧٠ .
(٢١٤) المصدر نفسه ج٣ ص ٢٦ .
(٢١٥) المصدر نفسه ج٣ ص ٨٠ - ٨١ .
(٢١٦) عمارة، علي بن ابي طالب ص٣٠ .
(٢١٧) العقاد، عبقرية الامام علي، ص١١٣ - ١٤٦ .
(٢١٨) طه حسين، علي وبنوه، ص١٥٧ .
(٢١٩) المرجع نفسه ص١٦١ .
(٢٢٠) نهج البلاغة ج١ ص١٨٩ .
(٢٢١) طه حسين، علي وبنوه، ص١٥٢ - ١٥٤ .
(٢٢٢) العقاد: عبقرية الامام علي ص٨٧ .
(٢٢٣) طه حسين، علي وبنوه ص٨٧ - ٨٩ .
(٢٢٤) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٥ - ٣٦ .
(٢٢٥) ابن سعد، الطبقات، ج٣، ص٣٥
(٢٢٦) المصدر نفسه ج٣ ص٣٦
(٢٢٧) المصدر نفسه ج٣ ص٣٦ - ٣٧ .
(٢٢٨) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٧ .
(٢٢٩) نهج البلاغة ج٣ص٧٧ - ٧٨ .
(٢٣٠) محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص١١٠ .

قائمة المصادر والمراجع :-

١ - القرآن الكريم

٢ - الامام علي بن ابي طالب، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، بغداد ١٩٨٤.

٣ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، عشرون جزء، مصر

٤ - ابن هشام، السيرة النبوية، مصر ١٩٥٥

٥ - الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابوالفضل مصر ١٩٦٨

٦ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٥٧

٧ - الواقدي، المغازي، بيروت ١٩٦٦

٨ - محب الدين الطبري، احمد بن عبدالله، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، بغداد، بلا تاريخ .

٩ - محب الدين الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرة، القاهرة ١٩٥٣

١٠ - ابن العربي، ابوبكر، العواصم من القواصم، القاهرة ١٣٧٥ هـ

١١ - ابو يوسف، الخراج، بيروت ١٩٧٩

١٢ - اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، النجف ١٩٧٤

١٣ - السيوطي، اخبار القضاة

١٤ - وكيع اخبار القضاة. الخزاعي .

١٥ - الخزاعي، علي بن محمد، تخريج الدلالات السمعية، بيروت ١٩٨٥

١٦ - ابن الجوزي، سيرة عمر بن الخطاب، القاهرة ، بلا تاريخ

١٧ ـ د. طه حسين، الفتنة الكبرى، علي وبنوه، مصر ١٩٧٥
١٨ ـ د. طه حسين، الفتنة الكبرى، عثمان، مصر ١٩٧٦
١٩ ـ العقاد، عباس محمود، عبقرية الامام علي، مصر ١٩٦١
٢٠ ـ العقاد، فاطمة الزهراء والفاطميون
٢١ ـ خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، بيروت ١٩٧٤
٢٢ ـ الخطيب، عبدالكريم، علي بن ابي طالب بقية النبوة وخاتم الخلافة، لبنان ١٩٧٥
٢٣ ـ د. محمد عماره وآخرون، علي بن ابي طالب، نظرة عصرية جديدة، بيروت ١٩٧٤
٢٤ ـ خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، بغداد ١٩٥٨.
٢٥ ـ ڤلهوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية، ترجمة عبدالهادي ابو ريدة، القاهرة ١٩٦٨
٢٦ ـ شعبان، د. محمد عبدالحي، صدر الاسلام والدولة الاموية: بيروت ١٩٨٣
٢٧ ـ در منغم، اميل، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، القاهرة، بلا تاريخ
٢٨ ـ عواد، د. بشار، علي والخلفاء، جريدة الجمهورية، بغداد، عدد ٦٨١١ و٦٨١٢ في ٩/٥/١٨٨ و١٠/٥/١٩٨٨.
٢٩ ـ الملاح، د. هاشم، اضواء على دور الانصار في مغازي وسرايا الرسول (ﷺ) حتى غزوة بدر، مجلة دراسات عربية في التاريخ والآثار، بغداد ١٩٨٧، عدد ٣

٣٠ـ الملاح، د. هاشم، الابعاد العسكرية والسياسية لمعارك تحرير خيبر، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، سنة ١٩٨٧ عدد ٣٤

٣١ـ الملاح، د. هاشم، اساليب تداول السلطة في الدولة العربية الاسلامية، مجلة آداب الرافدين، الموصل ١٩٧٦ عدد٧

الفهرست

وزارة الثقافة والاعلام

دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٨٨

الغلاف : رياض عبد الكريم

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر دينار ونصف